
أليس في بلاد
العجائب



الكتـــاب: أليس في بلاد العجائب

المـــؤلـــف: لويس كارول

المـــترجـم: تقى حامد

مـــراجـعـة: محمد الجيزاوي

تنسيق داخلي: عمر جوبا

الطبعة الأولـى: يناير 2020

رقم الإيـــداع: 28852 / 2019

I .S .B .N: 978-977-992-084-9

المدير العام: محمد شوقي

مدير النشر: علي حمدي

مدير التوزيع: عمر عباس

00201150636428

لمراسلة الدار Email: P.bookjuice@yahoo.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر الكاتب
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار

عصير الكتب للنشر والتوزيع

لويس كارول



ترجمة

تقى حامد

مراجعة

محمد الجيزاوي



الفصل الأول

السقوط داخل جحر الأرنب

كانت أليس قد بدأت تشعرُ بالسأم الشديد من الجلوس بجوار أختها على ضفة النهر دون أن تفعل شيئًا. لقد تسلَّلت مرة أو مرتين إلى الكتاب الذي كانت أختها منهمكةً في قراءته، ولكنها لم تجد به أيَّ صور أو حوارات، وفكَّرت أليس: «**ما الفائدة من كتاب بلا صور أو حوارات؟**»

وبينما كانت تفكر في نفسها (قدر استطاعتها على التفكير؛ إذ جعلها اليوم الحار تشعر بالنعاس وتبلُّد الذهن) فيما إذا كانت متعة صنع سلسلة زهور الأقحوان تستحق عناء النهوض والتقاط وتجميع الزهور؛ إذ فجأةً يمر راكضًا بالقرب منها أرنبٌ أبيض بعيونٍ وردية.

لم يلفت نظرَ أليس شيءٌ مما حدث، ولم يدُر بخاطرها أنه من غير المألوف أبدًا أن تسمع الأرنب يقول لنفسه:

«يا إلهي! يا إلهي! سوف أتأخر جدًّا!» (عندما فكَّرتْ في الأمر بعد ذلك أدركت أنه كان ينبغي لها أن تتعجب لهذا الحدث، لكن حينها بدا لها الأمر كله طبيعيًّا جدًّا)، ولكن عندما أخرج الأرنب ساعةً من جيب معطفه ونظر إليها ثم أسرع، قفزت أليس على رجليها؛ لأنها أدركت أنها لم ترَ من قَبْل أرنبًا لديه جيب في معطفه، أو معه ساعة يخرجها من ذلك الجيب. وبفضولٍ متزايد، ركضت أليس وراء الأرنب عبر الحقل، ورأته في اللحظة المناسبة وهو يندفع داخل جُحرٍ واسعٍ تحت سياج من الأشجار. وما مرَّت إلا ثوانٍ حتى دخلت أليس وراءه دون أن تفكِّر للحظة كيف لها أن تخرج من الجحر ثانيةً.

كان الطريق داخل الجحر مستقيمًا في أوله مثل النفق، ثم انخفض فجأةً وأصبح منحدِرًا وعرًا، حتى إن أليس لم تتسنَّ لها لحظة لتفكِّر في التوقف قبل أن تجد نفسها تسقط فيما بدا وكأنه بئرٌ عميقةٌ جدًّا.

إما أنَّ البئر كانت شديدة العمق، أو أنَّ أليس كانت تسقط ببطءٍ شديد؛ إذ كان لديها متسعٌ من الوقت أثناء السقوط لتنظر حولها، وتتساءل عمَّا سيحدث بعد ذلك. في البداية،

حاولت أن تنظر إلى الأسفل لترى المكان الذي ستصل إليه، لكنها لم ترَ شيئًا بسبب شدة ظلام البئر، ثم ألقت نظرة على جدران البئر، ولاحظت أنها مليئةٌ بالخزانات وأرفُف الكتب، ورأت خرائطَ وصورًا معلقةً بالمسامير هنا وهناك. وفي طريقها، أنزلت أليس برطمانًا من فوق أحد الرفوف مكتوبًا عليه «مربى برتقال»، لكنها شعرت بالإحباط الشديد حين وجدته فارغًا. لم ترغب أليس في إلقاء البرطمان؛ خوفًا من أن يصيب أحدًا بالأسفل ويقتله، فتمكَّنت من وضعه في إحدى الخزانات التي مرَّت عليها أثناء سقوطها.

قالت أليس في نفسها: «**حسنًا! بعد سقوطٍ كهذا لا ينبغي أن أخشى السقوط من السلالم مرةً أخرى! كم سأبدو شجاعة أمام جميع من في البيت! لن أخبر أحدًا أيَّ شيء عن الأمر، حتى وإن سقطتُ من أعلى المنزل!**» (كان هذا الافتراض صحيحًا على الأرجح).

استمرت أليس في السقوط إلى أسفل أكثر، فأكثر، فأكثر. أليسَ لهذا السقوط من نهاية؟ قالت أليس بصوتٍ مسموع: «أتساءل كم ميلًا قطعتُ خلال هذا الوقت؟ لا

بدَّ أنني أقترب من مركز الأرض. لِنُفكِّرْ في الأمر: أعتقد أن هذا سيكون على بُعد أربعةِ آلاف ميلٍ[1] تحت سطح الأرض» (كانت أليس، كما ترى، قد تعلمت أشياءَ من هذا القبيل خلال دروسها في المدرسة، وعلى الرغم من أن هذه لم تكن أفضل الفرص لتتباهى بمعرفتها؛ إذ لم يكن هناك أحدٌ ليسمعها، إلا أنه كان تمرينًا جيِّدًا أن تستذكر هذا وتقوله مرارًا)، «أجل... المسافة الصحيحة تقريبًا كذلك... ولكنَّني أتساءل عند أيِّ خطوط الطول ودوائر العرض قد وصلت الآن؟» (لم تكن لدى أليس أدنى فكرة عن ماهية خطوط الطول أو دوائر العرض، لكنها كانت تعتقد أنها كلماتٌ عظيمةٌ يحسُنُ استخدامها).

لم تكد تمر لحظات حتى استطردت أليس: «**أتساءل ما إذا كنتُ سأسقط مخترقةً الأرض! كم سيبدو مضحكًا أن أخرج بين الناس الذين يمشون على رءوسهم! اسمهم** «**المتنافرون**» **على ما أعتقد ...**» (كانت سعيدةً هذه المرة أن لم يسمعها أحد، حيث إنَّ هذه الكلمة لم تبدُ لها صحيحةً على الإطلاق)، «**... لكنني بلا شكٍّ سوف أُضطر إلى أن**

---

(١) الميل: وحدةٌ لقياس الطول، ويساوي ١٫٦١ كيلو متر تقريبًا.

أسألهم عن اسم البلد. من فضلكِ يا سيدتي، هل هذه نيوزيلندا أم أستراليا؟» (ثم حاولت أن تنحني احترامًا وهي تتكلم؛ تخيَّل كيف يكون الانحناء أثناء السقوط في الهواء! أتعتقد أنه بإمكانك فعل ذلك؟) **«وستظنُّ السيدة لسؤالي أني فتاةٌ صغيرةٌ جاهلة! لا، لن أسأل أبدًا؛ لعلِّي أجد اسم البلد مكتوبًا في مكان ما.»**

استمرَّت أليس في السقوط إلى أسفل أكثر فأكثر. لم يكن هناك شيءٌ لتفعله، فواصلت حديثها مجدَّدًا: «ستفتقدني دينا كثيرًا هذه الليلة، عليَّ أن أفكِّر في هذا!» (دينا كانت القطة). **«آمُلُ أن يتذكروا إعطاءها طبق اللبن المعتاد في وقت تناول الشاي. دينا يا عزيزتي! كم أتمنى أن تكوني هنا برفقتي! للأسف لا يوجد هنا فئران، لكن ربما يمكنك اصطياد خفَّاش، إنه يشبه الفأر كثيرًا، كما تعلمين. لكنني أتساءل: هل تأكل القطط الخفافيش؟»** وهنا بدأت أليس تشعر بالنعاس، وأخذت تردِّد لنفسها وكأنها تحلم: **«هل تأكل القطط الخفافيش؟ هل تأكل القطط الخفافيش؟»** وأحيانًا: **«هل تأكل الخفافيش القطط؟»** حيث إنها لم تستطع الإجابة على أيٍّ من السؤالَين، فلم يهم كثيرًا بأيِّ صيغةٍ تسأل. شعرت

أليس بأنها تنام بالفعل، وبدأت تحلم أنها كانت تمشي بصحبة دينا ممسكةً بيدها، وكانت تسألها بجدية: «**والآن يا دينا، أخبريني الحقيقة: هل سبق لكِ أن أكلتِ خفَّاشًا؟**» وعندئذٍ، صدر صوت ارتطامٍ مفاجئ، وسقطت أليس على كومٍ من العصيِّ الخشبية والأوراق اليابسة، وانتهى بذلك السقوط.

لم يلحق بأليس أيُّ أذى، وقفزت واقفةً على رجليها في الحال. حاولت النظر إلى أعلى لكن كل ما فوقها كان غارقًا في الظلام. كان أمامها مباشرةً ممرٌّ طويلٌ آخر، وكان الأرنب الأبيض على مرأى البصر يركض في الممر مسرعًا. لا وقت لديها ليضيع. انطلقت أليس نحو الأرنب بسرعة الرياح، ووصلت في اللحظة المناسبة تمامًا لتسمعه يقول وهو ينعطف إلى زاوية: «**آه يا أذنيَّ، ويا شاربي، كم تأخَّر الوقت!**» كانت على مقربةٍ منه حينما انعطفت إلى الزاوية، لكن الأرنب اختفى تمامًا؛ ووجدت أليس نفسها في بهوٍ فسيحٍ ومنخفض، يُضيئه صفٌّ من المصابيح المعلَّقة من السقف.

كان هناك أبوابٌ كثيرةٌ في جميع نواحي البهو، لكنها جميعًا كانت مغلقة، وبعدما قطعت أليس أحد جانبي

البهو ذهابًا والآخر إيابًا، وحاولت فتح كل بابٍ تصل إليه، مضت بحزنٍ نحو منتصف البهو وهي تتساءل كيف يتسنَّى لها الخروج مرة أخرى. وفجأة، صادفتها طاولةٌ صغيرةٌ لها ثلاث أرجل، مصنوعة بالكامل من الزجاج الصُّلب؛ لم يكن عليها شيءٌ سوى مفتاحٍ ذهبيٍّ صغير، وأول ما دار في ذهن أليس أن هذا المفتاح قد يكون مفتاح أحد أبواب البهو؛ ولكن يا للأسف! إما أن الأقفال كانت كبيرةً جدًّا، أو أن المفتاح كان صغيرًا للغاية، ولكن على أيَّة حال لن يفتح المفتاح أيًّا من تلك الأبواب.

وأثناء جولتها الثانية، وجدت أليس نفسها أمام ستارٍ منخفضٍ لم تلحظ وجوده من قَبْل، وكان خلف هذا الستار بابٌ صغيرٌ بلغ طوله حوالي أربعين سنتيمترًا. حاولت استخدام المفتاح الذهبيَّ الصغير في فتح قُفل الباب، ويا لفرحتها الكبرى حين وجدت المفتاح مناسبًا لثقب القُفل!

فتحت أليس الباب، ووجدت أنه يؤدي إلى ممرٍّ صغيرٍ، لا يتعدى حجمه حجم جحر الفئران؛ جثت على ركبتيها، ونظرت عبر الممر نحو أجمل حديقةٍ يُمكن أن يراها المرءُ على الإطلاق. كم تاقت نفسُها إلى الخروجِ من ذلك البهوِ المظلم، والتجولِ وسط أحواض الورود الزاهية ونوافير

المياه الباردة المنعشة، لكنها لم تتمكَّن حتى من إدخال رأسها عبر مدخل الباب. وفكَّرت أليس المسكينة: «**وحتى لو مرَّ رأسي من مدخل الباب، لن أنتفعَ بذلك ما لم تمر كتفاي منه أيضًا. آه، كم أتمنى لو أني أستطيع الانطباق على نفسي مثل التليسكوب! أظن أني يمكنني فعل ذلك لو أنني عرفت فقط كيف أبدأ**» (حيث إن أليس كانت قد مرَّت مؤخرًا بأشياءَ غير عادية على الإطلاق، كما تعلم، وبدأت تعتقد أن الأمور المستحيلة بالفعل قليلةٌ للغاية).

بدا لأليس أن الانتظار بجوارِ الباب الصغير أصبح بلا جدوى؛ فعادت إلى الطاولة على نصفِ أملٍ أن تجد عليها مفتاحًا آخر، أو أن تجد بأيِّ حالٍ من الأحوال كتابًا عن كيفية طيِّ البشر مثل التليسكوب. هذه المرة، وجدت على الطاولة قارورةً صغيرة، («**والتي لم تكن هنا من قبلُ بالتأكيد**» كما قالت أليس)، مربوط حول عنقها بطاقة ورقية، مطبوع عليها كلمة «**اشربيني**» بحروف كبيرة وجميلة.

كان من الجيِّد أن تقول اللافتة «**اشربيني**»، لكن أليس الصغيرة الحكيمة لم تكن لتفعل ذلك على عجل؛ قالت أليس: «**لا، سأتفحَّصها أولًا لأرى ما إذا كانت تحمل علامة**

«**سم**» **أم لا**» (حيث إنها قرأت العديد من القصص الصغيرة المسليَّة التي كانت تتحدث عن أطفال أُصيبوا بالحروق، أو التهمتهم وحوش برية، أو غير ذلك من الأمور السيئة؛ وذلك كله لأنهم لم يتذكروا القواعد البسيطة التي علَّمها لهم أصدقاؤهم: مثل أن السيخ الحديدي الأحمر الساخن سوف يصيبك بالحروق إن أمسكته بيدك طويلًا؛ وأنك إن جرحت إصبعك جرحًا غائرًا بالسكين فإنه عادةً ما ينزف؛ ولم تنسَ أليس قَطُّ أنه إذا شرب المرءُ الكثيرَ من زجاجةٍ عليها علامة «**سم**» فمن المؤكد أنها ستصيبه بمكروهٍ عاجلًا أو آجلًا). لكن هذه الزجاجة لم تكن تحمل علامة «**سم**»؛ فغامرت أليس بتذوُّق ما فيها، وعندما استحسنت طعمَه سارعت إلى شربهِ في الحال فلم تُبقِ منه قطرةً واحدة، إذ كانت نكهته مزيجًا من نكهات كعكة الكرز والكاسترد والأناناس ولحم الديك الرومي المشوي وحلوى الطوفي والخبز الساخن المحمص بالزبد.

قالت أليس: «**يا له من شعورٍ غريب! يبدو أنني أنكمش وأنطبق على نفسي مثل التليسكوب.**» وقد كان هذا ما حدث

بالفعل؛ فقد صار طولها رُبعَ متر فقط، وأشرق وجهها بالبهجة حينما خطر ببالها أن حجمها الآن أصبح مناسبًا للعبور من خلال الباب الصغير إلى تلك الحديقة الجميلة. ولكنها انتظرت بضع دقائق لترى ما إذا كانت ستنكمش أكثر من ذلك، وشعرت بشيءٍ من القلق حيال هذا الأمر؛ إذ كانت تقول لنفسها: «**قد ينتهي بي الحال وقد تلاشيتُ تمامًا، مثلما تنطفئُ الشمعة، يا تُرى كيف سأبدو حينها؟**» وحاولت أليس أن تتخيَّل كيف يبدو لهبُ الشمعة حينما تنطفئ؛ حيث إنها لا تتذكر أنها رأت شيئًا كهذا من قبل.

وبعد مرور قليل من الوقت، أدركت أليس أنه لم يحدث لها شيءٌ آخر، فقرَّرت أن تذهب إلى الحديقة على الفور، ولكن وا أسفاه على أليس المسكينة! فعندما وصلت عند الباب اكتشفت أنها قد نسيت المفتاحَ الذهبيَّ الصغير، ولما عادت إلى الطاولة لتُحضره، أدركت أنها ليس بإمكانها أن تصل إليه. كانت تراه بوضوح من خلال الزجاج، وبذلت قصارى جهدها لتتسلقَ إحدى أرجل الطاولة، لكنها كانت ملساء وزَلِقةً جدًّا، وعندما أرهقتها المحاولات جلست الصغيرة المسكينة وأخذت تبكي.

قالت أليس لنفسها بنبرةٍ فيها شيءٌ من الحدة: «**هيَّا لا جدوى من البكاء هكذا! أنا أنصحكِ أن تكفِّي عن البكاء فورًا!**» وعادةً ما كانت تعطي لنفسها نصائح جيدة (على الرغم من أنها نادرًا ما كانت تتَّبعها)، وكانت أحيانًا تعنِّف نفسها بقسوةٍ تجعلُ الدموع تذرف من عينيها، وتذكَّرت أنها ذاتَ مرة حاولت ضربَ نفسها على أذنيها عندما غشَّت نفسها في مباراة كروكيت كانت تلعب فيها ضد نفسها؛ فقد كانت تلك الطفلة الفضولية تحب كثيرًا أن تتظاهر بأنها شخصان مختلفان. وفكَّرت أليس وقالت في نفسها: «**لكن لا جدوى الآن من التظاهر بأني شخصان مختلفان! فما تبقَّى مني لا يكفي لأكون شخصًا متكاملًا واحدًا!**»

وسرعان ما وقعت عيناها على صندوقٍ زجاجيٍّ صغيرٍ مُلقًى تحت الطاولة، ففتحته ووجدت بداخله كعكةً صغيرةً جدًّا، عليها كلمة «كُليني» مكتوبة بالزبيب بشكلٍ جميل. قالت أليس: «**حسنًا، سآكلها، فإن جعلتني أكبر حجمًا فسأتمكَّن من الوصول إلى المفتاح، وإن جعلتني أصغر حجمًا فسأتمكَّن من الانسلال من تحت الباب؛ في كلتا الحالتين سأصل إلى الحديقة ولا يهمُّني أيهما سيحدث.**»

أكلت أليس قطعةً صغيرةً من الكعك، وقالت لنفسها بقلق: «**في أيِّ الاتجاهين؟ لأعلى أم لأسفل؟ لأعلى أم لأسفل؟**» واضعةً يدها فوق رأسها لتتحسَّس في أيِّ الاتجاهين تنمو، إلا إنها اندهشت تمامًا عندما وجدت أنها ظلَّت بالحجم نفسه. وبالطبع هذا ما يحدث عامةً حين يأكل المرءُ الكعك، ولكن أليس قد انغمست بشدةٍ في طريق لا تتوقع فيه إلا كل ما هو غريب وغير مألوف، مما جعل مُضيَّ الحياة على الطريقة المعتادة يبدو لها أمرًا مملًّا وسخيفًا. وهكذا بدأت أليس العمل وسرعان ما التهمت الكعكة بأكملها.



الفصل الثاني

بركة الدموع

صاحت أليس: «**يا للعجبة العجيبة!**» (فقد بلغت دهشتها مبلغًا أنساها للحظةٍ كيف تتحدث بلغةٍ سليمة) «**إنني الآن أنفتح وأتمدَّد مثل أكبر تليسكوب في التاريخ! الوداع يا قدمَيَّ!**» (لأنها حين نظرت إلى قدميها بالأسفل بدتا وكأنهما خارج مرمى بصرها؛ إذ كانتا تبتعدان عنها كثيرًا). فكَّرت أليس في نفسها وقالت: «**آه يا قدمَيَّ الصغيرتين المسكينتين! تُرى من سيُلبِسكما أحذيتكما وجواربكما الآن يا عزيزتيَّ؟ بالتأكيد لن أستطيعَ أنا فعلَ ذلك! سأكون بعيدةً عنكما بمسافة كبيرة تمنعني من الاهتمام بكما؛ عليكما تدبير أمركما بأفضل ما يمكنكما ... لكن لا بدَّ أن أعاملهما بلطفٍ وإلا فقد ترفضان المشي في الطريق الذي أود السير فيه؛ لأفكرْ في الأمر ... سأهديهما زوجًا جديدًا**

من الأحذية في كل عيدٍ من أعياد الكريسماس.»

وأخذت أليس تُخطِّط لنفسها كيف ستنفِّذ هذا الأمر. فكَّرت أليس: «**لا بدَّ أن أُرسلَ الهدية عن طريق البريد، كم سيبدو مضحكًا أن يرسل المرء هدايا إلى قدميه! وكم سيبدو العنوانُ غريبًا!**

إلى المبجَّلة قدم أليس اليمنى

الساكنة على السجادة

بالقرب من درابزين المدفأة

(مع حبي. أليس)

آه! يا إلهي! ما هذه السخافات التي أقولها!»

وفي هذه اللحظة، اصطدم رأسها بسقف البهو؛ إذ صار طولها الآن حوالي ثلاثةَ أمتار، فأخذت المفتاحَ الذهبيَّ الصغيرَ على الفور، وأسرعت إلى باب الحديقة.

يا لأليس المسكينة! كل ما كان في استطاعتها أن تستلقي على الأرض على أحد جانبيها لتنظر إلى الحديقة بعين واحدة؛ أما أن تصل إلى الحديقة فقد بات مستحيلًا

ميئوسًا منه كما لم يكن من قبل، فجلست وأخذت تبكي مرةً أخرى.

قالت أليس: «**يجب أن تخجلي من نفسكِ، فتاة كبيرة مثلكِ (وحُقَّ لها أن تقول كذلك) تستمر في البكاء هكذا! كُفِّي عن هذا فورًا أنا آمركِ!**» لكنها ظلت على حالها تَذرف لترات من الدموع حتى تكونت حولها بركةٌ كبيرةٌ يبلغ عمقها حوالي عشرة سنتيمترات، وتصل إلى منتصف البهو.

وبعد مُضيِّ بعض الوقت، سمعت وَقْعَ أقدامٍ صغيرةٍ يأتي من مسافةٍ بعيدة؛ فكفكفت دموعها بسرعة كي ترى ما القادم؛ فإذا به الأرنب الأبيض عائدًا مرتديًا لباسًا فاخرًا، يمسك بإحدى يديه زوجًا من القفازات الجلدية البيضاء، وباليد الأخرى مروحةً كبيرة. جاء مهرولًا على عجلة، وهو يتمتم لنفسه أثناء مجيئه: «**آه! الدوقة! الدوقة! ألن يشتدَّ غضبُها إن جعلتها تنتظر!**» كانت أليس قد بلغت من اليأس مبلغًا جعلها مستعدةً لطلب المساعدة من أيِّ أحد. وهكذا، حينما مرَّ الأرنب بالقرب منها همست بخجلٍ وبصوتٍ منخفضٍ وخجول: «**من فضلك، يا سيِّدي ...**» انتفضَ الأرنب في فزع؛ فأسقط القفازات الجلدية البيضاء والمروحة، وفرَّ هاربًا في الظلام بأقصى ما في استطاعته.

التقطت أليس المروحة والقفازات، وحيث إن الجو في البهو كان شديدَ الحرارة فقد ظلَّت تهوِّي لنفسها بالمروحة طوال الوقت وهي تقول: «**يا ربي! يا ربي! كم هي غريبة كل الأشياء اليوم! بينما كل شيء كان عاديًّا أمس! يا ترى هل تغيَّرتُ في المساء؟ لأفكِّرْ في الأمر ... هل كنتُ الشخص نفسه حينما استيقظتُ من نومي هذا الصباح؟ أعتقد أني أتذكر شعوري بأني مختلفةٌ بعض الشيء عما كنتُ عليه أمس. ولكن إن لم أكن أنا نفس الشخص الذي كنتُ أمس فالسؤال التالي هو: من أكون إذن؟ آه، ذلك هو اللغز الأكبر!**» وبدأت تفكِّر في جميع الفتيات اللاتي كانت تعرفهنَّ ممن هنَّ في سنها لترى ما إذا كانت قد تحوَّلت إلى أيٍّ منهنَّ.

قالت أليس: «**أنا متأكدةٌ أنِّي لستُ آدا؛ لأنَّ شعرها ينسدل مموَّجًا وطويلًا وشعري أنا ليس مموَّجًا على الإطلاق. ومتأكدةٌ أني يستحيل أن أكون مايبل؛ لأنني أعرف كل شيء، أمَّا هي، آه! لا تعرف إلا القليل! كما أنها هي هي وأنا أنا و... آه يا إلهي! ... يا له من أمرٍ محيِّر! سأحاول أن أكتشف ما إذا كنتُ ما أزال أعرف كل الأشياء التي اعتدت أن أعرفها. هيا نرَ: أربعة في خمسة تساوي اثني عشر، وأربعة في ستة تساوي ثلاثة عشر،**

وأربعة في سبعة تساوي ... آه يا إلهي! لن أصل للعشرين إذا استمررتُ بهذا المعدَّل! على أيَّة حال جدول الضرب لا يدلُّ على شيء؛ فلنجرِّب الجغرافيا. لندن عاصمة باريس، وباريس عاصمة روما، وروما ... لا، كل هذا خطأ، أنا متأكدة! لا بدَّ أنني تحوَّلتُ إلى مايبل! سأحاول أن أنشد قصيدة: «انظروا إلى ...» وعقدت ذراعيها على حجرها كما لو كانت تردِّد درسًا، وأخذت تستذكر القصيدة، ولكن صوتها بدا غريبًا وأجشَّ، ولم تخرج الكلمات منها كما اعتادت أن تخرج:

«انظروا إلى التمساحِ الصغير

كيف يُعدِّلُ ذيله اللامع

ويسكبُ ماء النيل

على كل حرشفةٍ ذهبيةٍ!

كم يبدو مرحًا وهو يكشِّر

وكيف ينشر مخالبه بأناقة

ويرحِّب بالسمك الصغير

بأنيابٍ مبتسمةٍ!»

قالت أليس المسكينة: «**أنا متأكدة أن هذه ليست الكلمات الصحيحة**»، واغرورقت عيناها بالدموع مرةً أخرى حين استطردت: «**لا بدَّ أنني مايبل على كلِّ حال، وسوف أضطر أن أذهب وأعيش في ذلك البيت الضيِّق الكريه، ولن يكون لديَّ لُعَبٌ ألعب بها، آه يا ربي! سيكون لديَّ الكثير من الدروس لأتعلمها! كلا، لقد اتخذت قراري فيما سأفعل: إن كنت مايبل فسأظلُّ هنا بالأسفل! ولن يجدي أن يطلُّوا برءوسهم عليَّ بالأسفل ويقولوا لي «اصعدي للأعلى وعودي يا عزيزتي» فقط سأنظر للأعلى وأقول: «من أكون أنا إذن؟ أخبروني أولًا، فإن أحببت أن أكون ذلك الشخص فسوف أصعد، وإن لم أحب فسأبقى هنا بالأسفل حتى أصير شخصًا آخر**»» وانهمرت دموع أليس فجأة، وصاحت باكيةً: «**آه يا ربي! أتمنى لو أنهم أطلُّوا برءوسهم إلى الأسفل! لقد تعبتُ بشدة من البقاء هنا وحيدة تمامًا!**»

وبينما كانت تقول هذا ألقت نظرة على يديها، وأصابتها الدهشة حين رأت أنها قد ارتدت واحدًا من قفازَيِ الأرنب الصغيرين المصنوعين من الجلد الأبيض أثناء حديثها من دون أن تشعر. فكَّرت أليس: «**كيف أمكنني فعل ذلك؟ لا**

بدَّ أن حجمي يتقلَّص مرة أخرى.» نهضت واتجهت نحو الطاولة لتقيس نفسها بالنسبة إليها، ووجدت أن طولها أصبح حوالي ستين سنتيمترًا تقريبًا بقدر ما استطاعت أن تخمِّن، وكان حجمها مستمرًّا في التقلُّص بسرعة. وسرعان ما اكتشفت أن المروحة التي كانت تحملها هي السبب في ذلك فألقت بها في عجالةٍ في الوقت المناسب بالضبط لتنقذ نفسها من أن تتقلَّص حتى تختفي تمامًا.

قالت أليس وقد انتابها شيءٌ من الخوف بسبب هذا التغيير المفاجئ: «**لقد نجوتُ بأعجوبة!**» ولكنها كانت سعيدةً لأنها ما تزال موجودة، واستطردت: «**والآن، إلى الحديقة!**» وركضت بأقصى سرعةٍ عائدةً إلى الباب الصغير، ولكن يا للأسف! كان الباب الصغير قد أُغلق مجدَّدًا، وكان المفتاح الذهبيُّ الصغير موضوعًا على الطاولة الزجاجية كما كان من قبلُ. فكَّرت أليس المسكينة: «**الأمور تصبح أسوأ مما كانت عليه في أيِّ وقتٍ مضى؛ لأنني لم أكن صغيرة إلى هذا الحد أبدًا من قبل! يا له من وضع سيِّءٍ للغاية!**»

وما أن نطقت بهذه الكلمات حتى زلَّت قدمها، وفي لحظة -تشش!- كانت غارقةً حتى ذقنها في مياه مالحة.

أول ما خطر ببالها أنها سقطت بطريقةٍ ما في البحر، وقالت لنفسها: «**وفي هذه الحالة أستطيع أن أعود للبيت بالقطار**» (لم تكن أليس قد ذهبت إلى الشاطئ سوى مرة واحدة في حياتها، وتوصَّلت إلى استنتاج عامٍ يقول إنه في أيِّ مكانٍ تذهب إليه على الساحل الإنجليزي، ستجد عددًا من كبائن الاستحمام وتغيير الملابس، وأطفالًا يحفرون في الرمل بمجارف خشبية، ثمَّ صفًّا من دور الضيافة، ووراءه محطة قطار سكة حديدية). ولكن سرعان ما أدركت أنها في بركة الدموع التي أسالتها وهي تبكي حين كان طولها ثلاثة أمتار.

قالت أليس وهي تسبح محاولةً أن تجد طريقًا للخروج منها: «**يا ليتني لم أبكِ بهذه الكثرة! أظنُّ أنني سأُعاقَب الآن بسبب بكائي بأن أغرق في دموعي! بالتأكيد سيكون هذا أمرًا غريبًا! ولكن كل الأمور غريبة اليوم.**»

وحينئذٍ سمعت صوت شيء يعوم في البركة بالقرب منها؛ فسبحت في اتجاهه لتتبيَّن ما هو، ظنَّت في البداية أنه لا بدَّ أن يكون فقمة أو فرس النهر، ولكن بعدها تذكرت كم هو صغير حجمها الآن، وسرعان ما أدركت أنه لم يكن إلا فأرًا انزلق في البركة مثلها.

فكَّرت أليس: «**هل سيجدي نفعًا أن أتحدث لهذا الفأر الآن؟ كل الأشياء هنا بالأسفل خارجة عن المألوف إلى درجة أني أعتقد أنه من المحتمل جدًّا أن يكون في استطاعته التحدث، على أيِّ حال فالمحاولة لن تضر.**» وهكذا بدأت تحدِّثه: «**يا فأر، هل تعرف طريق الخروج من هذه البركة؟ فقد أنهكتني السباحة في هذه المياه، يا فأر!**» (ظنَّت أليس أن هذه بالتأكيد هي الطريقة الصحيحة للتحدُّث إلى فأر، لم تكن قد فعلت هذا من قبل، ولكنها تذكرت أنها قد رأت في كتاب قواعد اللغة اللاتينية الخاص بأخيها «**فأر... من فأر... إلى فأر... فأر... يا فأر!**») نظر إليها الفأر متسائلًا، وبدا لها وكأنه يغمز لها بإحدى عينيه الصغيرتين، ولكنه لم يقل شيئًا.

فكَّرت أليس: «**ربما لا يفهم الإنجليزية، أعتقد أنه فأرٌ فرنسي جاء إلى هنا مع ويليام الفاتح.**» (فبرغم كل ما تعرفه عن التاريخ فلم يكن لديها فكرة واضحة عن الوقت الذي مضى على حدوث أيِّ شيء). وهكذا قالت: «Ou est ma chatte?» والتي كانت الجملة الأولى في كتاب تعلم اللغة الفرنسية الخاص بها. قفز الفأر فجأةً خارج المياه، وبدا وكأن جسده بأكمله يرتجف في خوفٍ شديد. شعرت

أليس بالخوف من أن تكون قد جرحت مشاعر هذا الحيوان المسكين فصاحت بسرعة: «**آه، اعذرني أنا آسفة! لقد نسيت تمامًا أنك لا تحب القطط.**»

صاح الفأر بصوتٍ منفعلٍ حادٍّ: «**لا أحب القطط! هل كنتِ ستحبين القطط إن كنتِ مكاني؟**» أجابت أليس بنبرةٍ مهدِّئة: «**في الحقيقة، ربما لا. لا تغضب مما حدث. ورغم ذلك أتمنى لو أستطيع أن أُريكَ قطتنا دينا؛ أظن أنك ستحب القطط لو رأيتها، إنها كائنٌ لطيفٌ وهادئ.**» وواصلت أليس كأنها تحدث نفسها، وهي تسبح بتكاسل داخل البركة: «**إنها تهرهر بلطف بجانب المدفأة، وتلعق حوافرها وتنظِّف وجهها، وكم هي كائن ناعم لطيف أن تعتني به ... وكم هي ماهرة في اصطياد الفئران ... آه، اعذرني أنا آسفة!**» صاحت أليس مجددًا بالاعتذار؛ حيث كان الفأر قد نفش شعره كله هذه المرة، وأيقنت أليس أنه لا بدَّ أن يكون قد شعر بالإهانة؛ فاستطردت: «**لن نتحدَّث عنها ثانيةً ما دمتَ لا ترغب في الحديث عنها.**»

صاح الفأر وجسده بأكمله ينتفضُ من رأسه حتى طرف ذيله: «**بالتأكيد لن نتحدَّث! كما لو أنني كنت سأودُّ الحديث**

في هذا الموضوع! إن عائلتنا تكره القطط على الدوام؛ فهم كائنات مقرفة ووضيعة ودنيئة! لا تُسمعيني كلمة «قط» مرة ثانية!»

قالت أليس على الفور كي تغيِّر موضوع الحديث: «**بالطبع لن أفعل! هل ... هل تحب ... تحب الكلاب؟**» لم يُجبها الفأر فتابعت أليس حديثها بحماس: «**يوجد بالقرب من منزلنا كلبٌ صغيرٌ لطيفٌ أودُّ أن أُريك إياه! كلب صيد صغير ذو عينين برَّاقتين، وشعر بني مموَّج طويل! إنه يلتقط الأشياء التي نرميها له، وينهض واقفًا على قدميه ليطلب عشاءه، ويفعل كل الأشياء التي لا أستطيع تذكر نصفها، وصاحبه مزارع، وهو يقول إنه مفيد جدًّا وتساوي قيمته مائة جنيه! ويقول إنه يقتل كل الفئران! و... آه يا إلهي!**» صاحت أليس بأسف: «أظن أني أسأتُ إليه مجدَّدًا» لأن الفأر كان يسبح بعيدًا عنها بأقصى ما في وسعه، مُحدثًا اضطرابًا في البركة أثناء ابتعاده.

نادته أليس بلطفٍ ورِقَّة: «**يا فأر يا عزيزي! عُد إلى هنا مرة أخرى وأنا لن أتحدث عن القطط ولا عن الكلاب ما دمت لا تحبهم!**» وعندما سمع الفأر هذا استدار وعاد إليها سابحًا ببطء، وكان وجهه شاحبًا للغاية (ظنَّت أليس أن هذا كان

بسبب الغضب)، وقال بصوتٍ مرتجفٍ منخفض: «**هيا نتجه إلى الضفة، وعندها سأحكي لكِ قصتي، وسوف تفهمين لماذا أكره القطط والكلاب.**»

وكان الوقت مناسبًا للذهاب؛ حيث كانت البركة قد بدأت تزدحم بطيورٍ وحيواناتٍ سقطت فيها: كان هناك بطة وطائر دودو وببغاء ونسر صغير، وعدد من المخلوقات الغريبة الأخرى. قادت أليس الطريق، وسبحت المجموعة كلها نحو الضفة.



الفصل الثالث

سباق جماعي وحكاية طويلة

كانت المجموعة التي تجمَّعت على الضفة غريبة الشكل حقًّا: كانت الطيور تجرُّ ريشها، وكانت فراء الحيوانات ملتصقةً بأجسادها، والجميع مبتلُّون يقطر منهم الماء، وغاضبون وغير مرتاحين.

بالطبع كان أول سؤال يدور في ذهنهم كيف سيجفِّفون أنفسهم مرة أخرى؛ تشاوروا فيما بينهم حول هذا الأمر، وبعد عدة دقائق، بدا لأليس طبيعيًّا جدًّا أن تتحدث معهم بألفةٍ كما لو أنها كانت تعرفهم طوال حياتها. في الحقيقة، خاضت جدالًا طويلًا مع الببغاء الذي التفت إليها عابسًا في النهاية وقال: «**أنا أكبر منكِ سنًّا، ولا بدَّ أنِّي أعرف أفضل منكِ ما يجب علينا فعله**»، وهذا ما لم تكن أليس لتسمح به إلا بعد أن تعرف كم يبلغ من العمر، وبعد أن رفض رفضًا

قاطعًا أن يفصحَ عن عمره لم يعد هناك ما يُقال، وبقي الوضع كما كان.

في النهاية، قام الفأر الذي بدا أنه ذو سلطةٍ بينهم ونادى: «**اجلسوا جميعًا واستمعوا إليَّ! سأجعلكم تجفُّون في الحال!**» جلسوا جميعًا على الفور في حلقةٍ كبيرة يتوسطها الفأر. ركَّزت أليس عينيها عليه بقلق؛ حيث إنها كانت متأكدة أنها ستُصاب بنزلةِ بردٍ شديدةٍ إذا لم تجف بسرعة.

قال الفأر بنبرةٍ توحي بالأهمية والعظمة: «**إحم! هل أنتم جميعًا مستعدون؟ هذا أجفُّ نصٍّ قرأته في حياتي. الزموا الصمت من فضلكم. «إن ويليام الفاتح الذي حازت قضيته على دعم البابا، قد خضع له الإنجليز الذين كانوا في حاجةٍ إلى قادة، واعتادوا في الآونة الأخيرة على الاحتلال والغزو. وقد قام كلٌّ من إدوين إيرل**[١] **ميرسيا وموركار إيرل نورثمبريا ...**»»

قال الببغاء وهو يرتعد: «**آخ!**»

قال الفأر بعبوسٍ ولكن بأدبٍ بالغ: «**معذرةً! هل قلتَ شيئًا؟**»

فقال الببغاء بسرعة: «**ليس أنا.**»

---

(١) إيرل: (Earl) لقبٌ يحصل عليه المرء إذا كان من طبقة النبلاء

قال الفأر: «حسبتُ أنك قلت شيئًا ... سأكمل ما كنتُ أقول: «وقد قام كلٌّ من إدوين إيرل ميرسيا وموركار إيرل نورثمبريا بالتحالف معه، حتى ستيجاند الوطني كبير الأساقفة وجد ذلك مناسبًا ...»»

قالت البطة: «وجد ماذا؟»

جاوبها الفأر بغضب: «وجد ذلك، بالطبع تعرفين ماذا تعني كلمة «ذلك»»

قالت البطة: «عندما أجد شيئًا فأنا أعرف جيدًا ما «ذلك» الشيء وعادةً ما يكون ضفدعًا أو دودة، السؤال هنا ما هو «ذلك» الأمر الذي وجده كبير الأساقفة مُناسبًا؟»

لم ينتبه الفأر لهذا السؤال، ومضى يكمل حديثه في عجالة: «... وجد ذلك مناسبًا، وذهب مع إدجار آثلينج ليقابلوا ويليام ويقدِّموا له التاج. كان سلوك ويليام في البداية معتدلًا. ولكن وقاحة النورمانديين ...» وقطع كلامه ثم التفت نحو أليس وهو يقول: «كيف حالُكِ الآن يا عزيزتي؟»

قالت أليس بنبرةٍ حزينة: «ما زلتُ مبلَّلة كما كنت، يبدو أن حديثك لم يجفِّفني على الإطلاق.»

قال طائر الدودو بوقار وهو قائمٌ على رجليه: «**في هذه الحالة، أقترحُ أن يؤجَّلَ هذا الاجتماع من أجل تبنِّي إجراءات علاج أكثر فاعلية في الوقت الراهن ...**»

قال النسر الصغير: «**تكلَّم بلغةٍ نفهمها! أنا لا أعرف معنى نصف هذه الكلمات الطويلة، وفوق ذلك، أنا لا أعتقد أنك تعرفها أيضًا!**» وأحنى النسر الصغير رأسه كي يخفيَ ابتسامته، بينما ضحك بعض الطيور الأخرى بصوتٍ مسموع.

قال طائر الدودو بنبرةٍ تنمُّ عن الاستياء: «**ما كنت أقصد قوله هو أن أفضل شيءٍ نفعله ليجعلنا نجف مرةً أخرى هو القيام بسباقٍ جماعي.**»

قالت أليس: «**ما السباق الجماعي؟**» ليس لأنها كانت تودُّ بشدة أن تعرف، ولكن طائر الدودو توقف عن الكلام كما لو كان يعتقد أن أحدًا ما عليه أن يتكلم، ولم يبدُ أن أحدًا آخر كان مستعدًّا لقول شيء. قال طائر الدودو: «**إن أفضل طريقة لشرح الأمر هي القيام به.**» (وبما أنك — عزيزي القارئ — قد تحب أن تجرِّب الأمر بنفسك في يوم من أيام الشتاء؛ فسأخبرك كيف استطاع طائر الدودو القيام به).

في البداية، حدَّد مسارًا للسباق على شكلٍ يشبه الدائرة (فقد قال: «**إن الشكل الدقيق لا يهم**»)، ثم انتشرت المجموعة هنا وهناك، واتَّخذ كل فردٍ مكانه على طول المسار. لم يُعلن أحد إشارة الانطلاق المعتادة: «**واحد، اثنان، ثلاثة، انطلقوا!**»، فقد بدأوا الجري عندما أرادوا، وتوقفوا متى شاءوا، لذا لم يكن من السهل معرفة متى انتهى السباق. ولكن بعد استمرارهم في الجري لمدة نصف ساعة تقريبًا، وعندما أصبحوا جافِّين تمامًا، صاح طائر الدودو فجأة: «**انتهى السباق!**» وتجمَّعوا جميعًا حوله، وهم يلهثون ويتساءلون: «**لكن من الفائز؟**»

لم يستطع طائر الدودو الإجابة على هذا السؤال بدون تفكيرٍ عميق، وجلس لمدةٍ طويلةٍ ضاغطًا بأحد أصابعه على جبهته (وهو الوضع الذي عادةً ما ترى فيه شكسبير في اللوحات المرسومة له) بينما انتظر الآخرون في صمت.

في النهاية قال طائر الدودو: «**الكلُّ فائز، والجميع يستحق الحصول على جوائز.**»

وسألت مجموعة من الطيور في صوتٍ واحد: «**ولكن من سيمنح الجوائز؟**»

أشار طائر الدودو نحو أليس بأحد أصابعه وقال: «**هي بالطبع.**» وتجمَّع الكلُّ على الفور حول أليس، وهم يصيحون في فوضى: «**جوائز! جوائز!**»

لم يكن لدى أليس أدنى فكرة عما يجب أن تفعله، وفي يأسٍ أدخلت يدها في جيبها، وأخرجت منه علبة من حلوى الفواكه المُسكَّرة المجفَّفة (لحسن الحظ لم تصل إليها المياه المالحة)، ووزعتها على الملتفِّين حولها كجوائز، وكان عدد قطع الحلوى يكفي بالضبط لإعطاء قطعة واحدة لكل فردٍ منهم.

قال الفأر: «**ولكن لا بدَّ أن تحصل هي نفسها على جائزة، كما تعلم.**»

أجاب طائر الدودو برزانة: «**بكل تأكيد**»، والتفت نحو أليس وقال: «**ماذا لديكِ أيضًا في جيبك؟**»

قالت أليس بحزن: «**لا شيء سوى كُشْتِبان.**»

قال طائر الدودو: «**تعالَي أعطيني إياه.**»

ثم تجمع الجميع حولها مرة أخرى، بينما قام طائر الدودو بتقديم الكشتبان إليها في وقارٍ قائلًا: «**نرجو منكِ**

أن تتفضلي بقبول هذا الكشتبان الأنيق»، وعندما أنهى خطابه القصير هلَّل الجميع.

كانت أليس ترى الأمر كله سخيفًا جدًّا، ولكنهم جميعًا بدَوْا جادِّين تمامًا لدرجة أنها لم تجرؤ على الضحك، وحيث إنها لم تستطع التفكير في أيِّ شيء لتقوله؛ انحنت احترامًا، وأخذت الكشتبان وهي تُظهر الوقار قدر استطاعتها.

كان الأمر التالي هو أكلُ الحلوى، وأحدث ذلك بعضَ الضجيج والفوضى؛ حيث إن الطيور الكبيرة اشتكت من أنها لم تستطع تذوُّق حلواها، أما الطيور الصغير فقد اختنقت بها وكان لا بدَّ أن يُربِّت أحد على ظهورها. ولكن الأمر انتهى أخيرًا، وجلسوا مرة أخرى في حلقة، وتوسَّلوا للفأر كي يخبرهم شيئًا آخر.

قالت أليس: «**لقد وعدتني بأنك ستحكي لي حكايتك**»، **وأضافت بصوتٍ مهموسٍ خوفًا من أن يشعر بالإهانة مجدَّدًا:** «**وبأن تقول لي لماذا تكره القِـ... والكِـ...**»

التفت الفأر نحو أليس وقال لها وهو يتنهَّد: «**حكايتي طويلة وحزينة!**»

قالت أليس وهي تنظر بتعجُّب إلى ذيل الفأر: «**إنه ذيل طويلٌ بالتأكيد، ولكن لماذا تقول إنه حزين؟**»

وظلت أليس في حيرتها بينما كان الفأر يتحدث؛ حتى إن فكرتها عن الحكاية أصبحت أنها شيء من هذا القبيل:

قال فيري للفأر الذي
قابله في المنزل:
«هيا نذهب إلى المحكمة،
أنا سأقاضيك ...
الإنكار لن يفيد؛
يجب أن تتم المحاكمة
وليس عندي
ما أفعله هذا
الصباح
غير ذلك
قال الفأر
للكلب المكار:
«قضية كهذه
بدون محلَّفين
ولا قاضٍ
ستكون
مضيعة
لوقتنا»،
قال فيري
العجوز
الماكر:
«سأكون
أنا
المحلَّفين
وأنا
القاضي،
وسأحكم
عليك
بالموت»

قال الفأر لأليس بنبرةٍ حادَّة: «**أنتِ لا تستمعين إليَّ! فيمَ تفكرين؟**»

قالت أليس بتواضعٍ شديد: «**اعذرني أنا آسفة! أعتقد أنك وصلت للمنحنى الخامس، أليس كذلك؟**»

صاح الفأر في حدَّةٍ وغضب: «**لا لم أصل!**»

قالت أليس المستعدة دومًا لتقديم المساعدة وهي تنظر حولها بشغف: «**تقصد أن لديك عُقدة! اسمح لي أن أساعدك في حلِّها!**»

نهض الفأر ومشى بعيدًا وهو يقول: «**لا لن أفعل، أنت تُهينينني حين تقولين هذا الهراء.**»

توسَّلت أليس المسكينة إليه قائلةً: «**أنا لم أقصد هذا، لكنَّك سريعًا ما تغضب وتشعر بالإهانة.**» لم يُجبها الفأرُ إلا بزمجرة.

صاحت أليس: «**أرجوك عُدْ وأكمل قصتك!**»

وانضم إليها الآخرون في صوتٍ واحدٍ قائلين: «**نعم، نرجوك عُدْ!**»

لكن الفأر هزَّ رأسه بنفادِ صبرٍ، ومضى يمشي أسرعَ قليلًا. وبمجرد اختفاء الفأر عن مرمى البصر، تنهَّد الببغاء وقال: «**يا له من أمرٍ مؤسف أنه لن يبقى معنا!**» وقامت سلطعون عجوز باتخاذ الفرصة أن تقول لابنتها: «**آه يا عزيزتي! ليكن هذا درسًا لكِ ألَّا تفقدي أعصابكِ!**» قالت السلطعون الابنة بنبرةٍ فظَّة: «**اسكتي يا أمي! فأنتِ قادرةٌ على استفزاز صبرِ المحار!**»

قالت أليس بصوتٍ عال، غير موجهةٍ كلامها لأحدٍ بعينه: «**كم أتمنى لو كانت دينا هنا! كانت ستعيده لنا ثانيةً.**»

قال الببغاء: «**ومن هي دينا؟ إذا كنت تسمحين لي أن أسأل هذا السؤال.**»

ولأن أليس كانت دائمًا مستعدة للحديث عن حيوانها الأليف فقد أجابت بحماس: «**دينا قطتنا. أنتم لا تتصوَّرون كم هي ماهرة في اصطياد الفئران! آه لو رأيتموها وهي تطارد الطيور! فهي تأكل الطائر الصغير بمجرد أن تنظر إليه!**»

لقد كان لهذا الحديث أثرٌ ملحوظٌ في نفوس المجموعة. أسرعت بعض الطيور هاربةً في الحال، وأخذ طائر العقعق العجوز يلتف حول نفسه بحرصٍ قائلًا: «**لا بدَّ أن أذهب**

للبيت حقًّا؛ فهواء الليل يضرُّ بحنجرتي!» وناد**ى عصفور الكناري صغاره بصوتٍ مرتجف: «هيا نذهب يا أحبائي! حان وقت نومكم!»** وغادر الجميع مُختلقين حُجَجًا وأعذارًا مختلفة، وسرعان ما تركوا أليس وحيدة.

قالت أليس لنفسها بنبرةٍ حزينة: «**يا ليتني لم أتحدَّث عن دينا! يبدو ألَّا أحد يحبها هنا بالأسفل، أنا متأكدة أنها أفضل قطة في العالم! آه دينا يا عزيزتي! يا تُرى هل سأراكِ مرةً ثانية!**» وشعرت أليس المسكينة بأنها وحيدةٌ جدًّا ومحبطة؛ فبدأت تبكي مجدَّدًا. ولم تمر سوى لحظاتٍ حتى سمعت مجدَّدًا وقع أقدام صغيرة يأتي من مسافةٍ بعيدة، فتطلَّعت حولها بحماسٍ، وبها أملٌ ضعيفُ أن يكون الفأر قد غيَّر رأيه، وعاد كي يكمل قصته.

الفصل الرابع

الأرنب يرسل بيل الصغير إلى الداخل

كان الأرنب الأبيض يهرول ببطءٍ عائدًا، ويلتفت حوله بقلقٍ أثناء سيره كمان لو كان قد ضاعَ منه شيء. وسمعته أليس وهو يتمتمُ لنفسه قائلًا: «**الدوقة! الدوقة! آه يا حوافري العزيزة! آه يا فرائي ويا شاربي! سوف تصدرُ أمرًا بإعدامي، هذا أكيد كما أنه أكيد أن القوارض هي القوارض! يا تُرى أين أوقعتُهما!**» خمَّنت أليس بسرعة أنه يبحث عن المروحة وزوج القفازات الجلدية البيضاء، وبطبيعتها الخيِّرة بدأت في البحث عنهم، ولكنهم لم يكونوا موجودين على مرمى البصر ... وبدا أن كل شيء حولها قد تغير منذ سباحتها في البركة، وأن البهو الكبير قد اختفى تمامًا ومعه الطاولة الزجاجية والباب الصغير.

وسرعان ما لاحظ الأرنب وجود أليس وهي منهمكة في البحث، وصاح مناديًا إياها بنبرةٍ غاضبة: «**ماري آن،**

ماذا تفعلين هنا؟ عودي إلى البيت حالًا وأحضري لي زوجًا من القفازات ومروحة! هيا أسرعي الآن!» وشعرت أليس بالخوف الشديد إلى درجة أنها فرَّت هاربة في الاتجاه الذي أشار إليه الأرنب، من دون أن تحاول أن تشرح له الخطأ الذي وقع فيه.

قالت أليس لنفسها وهي تجري: «**لقد ظنَّ أني خادمته، كم ستكون دهشته كبيرة حين يكتشف من أكون! ولكن من الأفضل أن أحضر له مروحته وقفازَيه ... هذا إن كنتُ سأتمكَّن من إيجادهم.**» وبينما كانت تقول هذا لنفسها أتت على بيتٍ صغيرٍ أنيق، على بابه لوحة من النحاس اللامع محفور عليها اسم «**الأرنب و...**» دخلت من دون أن تطرق الباب، وصعدت السلم مسرعةً في خوفٍ شديدٍ من أن تقابل ماري آن الحقيقية؛ فتطردها من المنزل قبل أن تجد المروحة والقفازين.

قالت أليس لنفسها: «**كم يبدو غريبًا أن يرسلني أرنب لأداء مهمة! أظن أن دينا سوف ترسلني لقضاء المشاوير هي الأخرى!**» وبدأت تتخيل ما سيحدث: «**يا آنسة أليس، تعالي إلى هنا حالًا واستعدي للذهاب في تمشية!**»

«سآتي حالًا يا مربِّيتي، ولكن عليَّ أن أراقب هذا الجُحر كي أمنع الفأر من الخروج إلى أن تعود دينا.»

وتابعت أليس: **«ولكني لا أظن أنهم سيسمحون لِدينا بالبقاء في المنزل إذا بدأت في إصدار الأوامر للناس من حولها بهذه الطريقة!»**

وفي هذا الوقت، كانت قد وجدت طريقها إلى غرفةٍ صغيرةٍ مرتبة، بها طاولةٌ عند النافذة، وفوقها (كما كانت تتمنَّى) مروحةٌ وزوجان أو ثلاثةُ أزواجٍ من القفازات الجلدية البيضاء الصغيرة؛ أخذت المروحةَ وزوجًا من القفازات، ولمَّا كانت على وشك أن تغادر الغرفة، وقعت عيناها على زجاجةٍ صغيرةٍ موضوعة بجوار المرآة. هذه المرة، لم يكن على الزجاجة علامةٌ مكتوبٌ عليها «**اشربيني**»، ولكن أليس فتحتها، ووضعتها على شَفَتَيها لتشربها. قالت لنفسها: **«أعرف أن شيئًا مميزًا يحدث بالتأكيد في كل مرةٍ آكلُ أو أشرب فيها أيَّ شيء؛ لذا سأرى ماذا ستفعل هذه الزجاجة. آمُلُ أن تجعلني أكبر مجدَّدًا؛ فقد سئمتُ حقًّا من كوني بهذا الصِغَر!»**

وقد كان هذا ما حدث بالفعل، وبأسرع ممَّا توقعت أليس، فما كادت تنتهي من شرب نصف الزجاجة حتى وجدت رأسها يضغط على السقف، واضطرت أن تنحني لتحمي رقبتها من أن تنكسر. أعادت الزجاجة إلى مكانها بسرعة وهي تقول لنفسها: «**هذا كافٍ جدًّا ... أتمنى ألَّا أكبر أكثر من ذلك ... فأنا بهذا الحجم لن أتمكَّن من الخروج من الباب ... ليتني لم أشرب كثيرًا هكذا!**»

ولكن للأسف، قد فات أوان تلك الأمنية، فقد استمرَّ حجمها يزداد ويزداد، وسرعان ما اضطرت إلى أن تركع على الأرض، وما هي إلا دقيقة أخرى حتى لم يعد هناك مُتسعٌ لهذا، وحاولت أن تستلقيَ على الأرض وكوعها عند الباب، ويدها ملفوفة حول رأسها. واستمر حجمها يزداد، فأخرجت ذراعها من النافذة، ورجلَها من المدخنة كَحلٍّ أخير، وقالت لنفسها: «**لا يمكنني أن أفعلَ أكثر من هذا الآن، مهما حدث. ماذا سيحدث لي؟**»

ومن حسنِ حظِّ أليس، كان مفعول الزجاجة السحرية الصغيرة حينئذٍ قد وصل إلى أقصاه؛ فلم تكبر أليس أكثر من هذا، ولكنها كانت ما تزال في وضعٍ غير مريح، وحيث

إنه لم يبدُ أن هناك فرصة لخروجها من البيت أبدًا، فلا عجب أنها لم تكن سعيدة.

فكَّرت أليس المسكينة: «**لقد كانت الحياة ألطف في بيتنا، حين لم يكن المرء يكبر أو يصغر طول الوقت، ولم يكن يتلقى الأوامر من الفئران أو الأرانب**»، وأضافت بنبرةٍ حزينة: «**أكاد أتمنى لو لم أدخل جحر الأرنب ... ولكن ... ولكن ... هذا النوع من الحياة عجيب ومثير للفضول كما ترى! أتساءل ماذا كان من الممكن أن يحدث لي! عندما كنت أقرأ قصص الخيال كنت أظنُّ أن هذه الأشياء لا تحدث أبدًا، وها أنا ذي في قلبِ واحدة من تلك القصص! لا بدَّ أن يؤلَّف كتابٌ عني، لا بُدَّ قطعًا! وعندما أكبر سأؤلِّف أنا كتابًا ... ولكني الآن كبيرة بالفعل، على الأقل لا يوجد مُتسعٌ لمزيد من الكِبَر هنا. ولكن هل سيتوقف عمري عند هذه السنِّ؟ سيكون هذا مريحًا، من جهة ... لن أصير امرأةً عجوزًا أبدًا ... ولكن ... سيظلُّ واجبًا عليَّ أن أستذكر الدروس طوال حياتي، آه! أنا لن أحب هذا!**»

أجابت أليس نفسها: «**آه يا أليس يا حمقاء! كيف سيُمكنك استذكار الدروس هنا؟ فبالكاد هناك مُتسع لكِ، ولا توجد أيُّ مساحة لأيٍّ من كتب المدرسة!**» وهكذا استمرَّت في

الحديث تأخذ جانب إحدى الفكرتين في البداية، ثم تأخذ جانب الفكرة الأخرى، وتصنع من ذلك جميعًا حوارًا متماسكًا، ولكن بعد مرورِ بضع دقائق، سمعت صوتًا في الخارج، وتوقَّفت كي تسمع.

قال الصوت: «**ماري آن! يا ماري آن! أحضري لي قفازيَّ حالًا!**» ثم سمعت وقعَ أقدامٍ صغيرةٍ على السلم. عرفت أليس أن الأرنب أتى ليبحث عنها؛ فارتجفت حتى هزَّت المنزل، ناسيةً تمامًا أن حجمها الآن صار كحجم الأرنب ألف مرة، وأنه لا يوجد سببٌ يدعوها للخوف منه.

وفي هذا الوقت كان الأرنب قد صعد السلم ووصل إلى الباب، وحاول فتحه، وحيث إن الباب كان يُفتح للداخل، وكان كوع أليس ضاغطًا عليه بشدة، فقد باءت هذه المحاولة بالفشل. سمعته أليس وهو يقول لنفسه: «**حسنًا، سألفُّ حول البيت وأدخل من النافذة.**» فكَّرت أليس في نفسها: «**هذا ما لن تفعله!**» وانتظرت حتى خُيِّل إليها أنها تسمع صوت الأرنب تحت النافذة بالضبط، ثمَّ مدَّت يدها من النافذة وحرَّكتها في الهواء كأنها تقبض على شيء. لم تُمسك بشيءٍ ولكنها سمعت صرخة، وشيئًا يسقط،

وصوتَ تكسير زجاج، مما جعلها تستنتج أنه من الممكن أن يكون الأرنب قد سقط على حوض الخيار المزروع، أو شيء من هذا القبيل.

وبعدها، جاء صوتٌ غاضب ... صوتُ الأرنب ...: «**يا بات! يا بات! أين أنت؟**»

ثم سمعت صوتًا لم تسمعه من قبل يقول: «**أنا هنا بالتأكيد سعادتك، أحفر باحثًا عن التفاح!**»

قال الأرنبُ بغضب: «**حقًّا! تحفر باحثًا عن التفاح! تعالَ إلى هنا وساعدني أن أتخلَّص من هذا!**» (المزيد من صوت تكسير الزجاج).

تابع الأرنب: «**والآن أخبرني يا بات، ما هذا الذي في النافذة؟**»

- إنها ذراعٌ بالتأكيد سيادتك!

- ذراع! يا لك من ساذج! من سبق له أن رأي ذراعًا بهذا الحجم من قبل؟ إنها تملأُ النافذة بأكملها!

- نعم بالتأكيد سعادتك، هي تملؤها، ولكنها ذراعٌ على الرغم من ذلك.

- حسنًا، لا فائدةَ منها هنا على أيِّ حال، اذهب وارمِ بها بعيدًا!

وساد صمتٌ طويلٌ بعد ذلك، ولم تستطع أليس أن تسمعَ سوى همساتٍ تأتي من حينٍ لآخر، مثل: «**لا أودُّ أن أفعل هذا، سعادتك، لستُ مطمئنًّا على الإطلاق! على الإطلاق!**» «**افعل ما آمُرُك به أيها الجبان!**» وفي النهاية مدَّت يدها، وحرَّكتها في الهواء مرةً أخرى كأنها تقبض على شيء. هذه المرة، سمعت صرختين، والمزيد من أصوات تكسير الزجاج. فكَّرت أليس: «**لا بدَّ أن عندهم عددًا هائلًا من أحواض الخيار! يا تُرى ماذا سيفعلون بعد ذلك! أما عن إخراجهم لي من النافذة فأنا أتمنَّى أن يتمكنوا من ذلك! بالتأكيد أنا لا أريد أن أبقى هنا لمدةٍ أطول!**»

انتظرت بعض الوقت دون أن تسمع أيَّ شيءٍ آخر، وفي النهاية، أتاها صوتُ عجلات عربة جرٍّ صغيرة، وصوتُ أناسٍ كثيرين يتكلَّمون في صوتٍ واحد، واستطاعت أن تميِّز ما يقولون: «**أين السلم الآخر؟ ... لم يكن عليَّ أن أُحضر سوى واحد؛ بيل سيُحضر الآخر ... يا بيل! أحضر السلم هنا يا ولد! ... هيا ضعهما هنا عند هذه الزاوية ... لا! اربطهما**

معًا أولًا ... إنهم لا يصلون إلى نصف الارتفاع الكافي بعد ... آه! سوف يفون بالغرض، لا تُدقِّق ... هيا يا بيل! أمسك بهذا الحبل ... هل سيتحمَّل السقف؟ ... احترس من هذا اللوح المفكوك ... ياه! إنه يسقط! أخفِضوا رءوسكم!» (صوت تحطُّمٍ عالٍ) ... «**والآن من فعل هذا؟ ... أعتقد أنه بيل ... من الذي سيهبط من خلال المدخنة؟ ... كلَّا ليس أنا! اهبط أنت! ... هذا ما لن أفعله! ... يجب على بيل أن يهبط ... هيا يا بيل! السيد يقول إن عليك أن تهبط من خلال المدخنة!**»

قالت أليس لنفسها: «**ياه! على بيل أن يهبط من خلال المدخنة إذن، أليس كذلك؟ ما لهم يلقون بكلِّ شيءٍ على كاهل بيل؟ لم أكن لأقبل أن أكون في مكان بيل أبدًا، ولو في مقابل الكثير من المال. هذه المدخنة ضيقة بالتأكيد، لكن أظن أنني سأستطيع أن أركل بقدمي قليلًا!**»

وسحبت أليس رجلها من داخل المدخنة بقدر ما استطاعت، وانتظرت حتى سمعت حيوانًا صغيرًا (لم تستطع أن تخمِّن ما نوعه) يخربش ويزحف في المدخنة فوقها تمامًا. ثم قالت لنفسها: «**هذا هو بيل**»، وركلت برجلها ركلةً قوية، وانتظرت لترى ما سيحدث بعد ذلك.

وكان أول ما سمعته هو صوتٌ جماعيٌّ يقول: «**ها هو بيل!**» ثم سمعت صوت الأرنب وحده قائلًا: «**أنتَ يا من تقف بجوار السياج، أمسك به!**» ثم ساد الصمت. ثم سمعت مجموعةَ أصواتٍ أخرى متداخلة: «**ارفع رأسه ... اسقوه براندي الآن ... لا تدعه يشرَق ... كيف كان الحال يا رفيقي؟ ماذا حدث لك؟ احكِ لنا كل شيء!**»

وأخيرًا جاء صوتٌ صغيرٌ حادٌّ وضعيف (ظنت أليس في نفسها أنه صوت بيل): «**أنا لا أعلم ... لا أريد المزيد، شكرًا لك، أشعر بتحسن الآن ... ولكنِّي مضطرب جدًّا ولا أستطيع الكلام ... كل ما أعرفه هو أن شيئًا ما فاجأني مثل عفريت العلبة، فجعلني أطير في الهواء مثل الصاروخ.**»

قال الآخرون: «**هذا ما فعلتَه يا رفيق!**» وجاء صوت الأرنب قائلًا: «**لا بدَّ أن نحرق المنزل!**»

صاحت أليس بأعلى صوتٍ: «**إذا حرقتم المنزل فسأسلِّط دينا عليكم!**»

وعلى الفور، ساد صمتٌ تام، وفكَّرت أليس في نفسها: «**يا تُرى ماذا سيفعلون بعد ذلك! لو كان لديهم شيءٌ من العقل**

لأزالوا السقف.» وبعد مرور دقيقة أو دقيقتين، عادوا إلى الحركة، وسمعت أليس صوت الأرنب قائلًا: «**حمولة عربة واحدة تكفي في البداية.**» فكَّرت أليس: «**حمولة عربة واحدة من ماذا؟**»

ولم يكن هناك وقتٌ كافٍ لتراودها الشكوك؛ فما هي إلا لحظة حتى انهمر وابلٌ من الحصى الصغير على النافذة، مُحدثًا صوت خشخشة، وأصابها بعض هذه الحصى في وجهها. قالت لنفسها: «**سوف أضع حدًّا لهذا!**» وصاحت: «**من مصلحتكم ألَّا تكرروا هذا ثانيةً!**» وهو ما جعل الصمتَ التامَّ يسود مجدَّدًا. وأصابها بعض الدهشة حين لاحظت أن جميع الحصى يتحوَّل إلى كعكات صغيرة عندما يسقط على الأرض، وخطرت ببالها فكرةٌ عبقرية. فكَّرت أليس: «**إذا أكلتُ واحدة من تلك الكعكات فسوف تغير من حجمي بالتأكيد، وبما أنه من المستحيل أن تجعلني أكبر فلا بدَّ أنها ستجعلني أصغر، على ما أعتقد.**»

وهكذا ابتلعت واحدة من الكعكات، وسُرَّت عندما وجدت حجمها يأخذ في الانكماش مباشرةً. وبمجرد ما أصبح حجمها صغيرًا بما يكفي للخروج من الباب هربت

من البيت، ووجدت تجمعًا كبيرًا من الحيوانات والطيور الصغيرة تنتظر في الخارج. وكان يتوسطهم ذكر السحلية الصغير المسكين بيل، يحمله خنزيران من خنازير غينيا، ويسقيانه شيئًا من زجاجة. وما إن ظهرت أليس حتى اندفعوا إليها جميعًا، ولكنها ركضت مُسرعةً بأقصى ما كان في استطاعتها، وسرعان ما وجدت نفسها في مأمن وسط غابة كثيفة.

قالت أليس لنفسها وهي تتجوَّل في أنحاء الغابة: «**أول شيء يجب عليَّ فعله هو أن أعود إلى حجمي الأصلي مرة أخرى، وثاني شيء هو أن أجد طريقي لتلك الحديقة الرائعة، أعتقد أن هذه هي الخطة الأفضل.**» لقد بدت خُطة رائعة بلا شكٍّ، منظَّمة ببساطة ودقة، غير أن الصعوبة الوحيدة كانت تكمن في أنها لم يكن لديها أدنى فكرة عن كيفية تنفيذها. وبينما كانت تتفحَّص الأشجار بقلقٍ سمعت صوت نباحٍ صغيرٍ حادٍ فوق رأسها تمامًا جعلها تتطلَّع فورًا إلى أعلى.

جرو ضخم ينظر إليها بعينيه الكبيرتين المدورتين، ويمدُّ أحد أطرافه في استحياء محاولًا أن يلمسها. قالت أليس بلطفٍ وحنان: «**أيها الكائن الصغير المسكين!**» وحاولت

جاهدةً أن تُصفِّر له لكنها كانت في خوفٍ شديدٍ طوال الوقت من أنه قد يكون جائعًا؛ ففي هذه الحالة، سوف يلتهمها على الأرجح، بالرغم من كل ملاطفاتها.

ودون أن تدرك تمامًا ما تفعله، التقطت أليس عصا صغيرة ومَدَّتها نحو الجرو؛ فقفز برجليه في الهواء مُطلقًا نباحًا يدل على السرور، واندفع نحو العصا متظاهرًا بأنه يهاجمها؛ فتراجعت أليس خلفَ نباتاتٍ شوكيةٍ كبيرة؛ كي لا يدهسها الجرو. وما أن ظهرت على الجانب الآخر حتى اندفع الجرو مجدَّدًا نحو العصا، وانقلب رأسًا على عقب في عجلته للإمساك بها. ثم تراجعت أليس خلف النباتات الشوكية مرة أخرى، وهي تشعر وكأنها في لعبة مع حصان العربة، وتتوقع أن تُدهس تحت قدمه في أيِّ لحظة. ثم أخذ الجرو يقوم بسلسلة من الهجمات القصيرة على العصا، وهو يتحرَّك في كل مرةٍ إلى الأمام قليلًا ثم إلى الخلف كثيرًا، ولا يكفُّ عن النباح بصوتٍ أجشَّ، إلى أن جلس في النهاية بعيدًا، يلهث ولسانه يتدلَّى خارج فمه، وعيناه الكبيرتان نصف مغمضتين.

بدا لأليس أن هذه فرصة جيدة للهروب؛ فانطلقت على الفور، وركضت حتى نال منها التعب وانقطعت أنفاسها،

وصارت تسمع نُباح الكلب خافتًا يأتي من مسافة بعيدة. واتكأت على زهرة الحوذان كي تستريح، واستخدمت إحدى ورقاتها بمثابة مروحة تهوِّي بها على نفسها، وقالت: **«ومع ذلك، يا له من جرو صغير لطيف! كم كنت أرغب في أن أُعلِّمه بعض الحركات والحِيَل لو … لو كنتُ فقط بالحجم المناسب للقيام بذلك! آه يا ربي! لقد كدت أنسى أنَّه يجب عليَّ أن أكبر ثانيةً! لنفكر … كيف سندبر هذا الأمر؟ أعتقد أنه ينبغي عليَّ أن آكل أو أشرب شيئًا أو آخر، لكن السؤال الأكبر: ما هذا الشيء؟»**

بالتأكيد كان السؤال الأكبر: ما هذا الشيء؟ ونظرت أليس إلى الأزهار وأوراق العشب من حولها، ولكنها لم ترَ ما قد يبدو أنه الشيء المناسب الذي ينبغي أن تأكله أو تشربه في ظل تلك الظروف. كان هناك فطرٌ ينمو بالقرب منها، وكان في مثل طولها تقريبًا، وعندما نظرت تحته وعلى جانبيه وخلفه، خطر ببالها أنها من الممكن أيضًا أن تنظر لترى ما فوقه.

وقفت على أطراف أصابعها، وألقت نظرةً متفحصةً من على حافة الفطر، فتلاقت عيناها في الحال بعيني دودةٍ

كبيرةٍ زرقاء، كانت تجلس فوق الفطر عاقدةً ذراعيها، وهي تدخِّن نرجيلةً طويلة بهدوء، ولا تعير أدنى انتباهٍ لأليس ولا لأي شيء آخر.





الفصل الخامس

نصيحة من دودة

نظر كلٌّ من الدودةِ وأليس أحدهما إلى الآخر في صمتٍ للحظات، ثم أخرجت الدودةُ النرجيلةَ من فمها، وقالت بصوتٍ يملؤه النعاسُ والتكاسل مُخاطِبةً أليس: «**من أنتِ؟**» لم تكن هذه بدايةَ حوارٍ مشجعة.

أجابت أليس بخجل: «**أنا ... أنا لا أعرف يا سيدتي في الوقت الحالي ... على الأقل أعرف من كنتُ عندما استيقظتُ هذا الصباح، ولكن أعتقد أني تحوَّلتُ عدة مراتٍ منذ ذلك الحين.**»

قالت الدودة بصرامة: «**ماذا تقصدين بذلك؟ كوني واضحة!**»

قالت أليس: «**أخشى ألَّا أستطيع فعل ذلك يا سيدتي؛ لأني لستُ نفسي، أتفهمين ما أقصده؟**»

قالت الدودة: «**كلا، أنا لا أفهم ما تقصدين.**»

أجابت أليس بأدبٍ شديد: «**أخشى ألَّا أستطيع أن أوضح الأمرَ أكثرَ من ذلك؛ فأنًا نفسي لا أفهم ما حدث لي، وأن يتغير حجمُ المرءِ بهذه الكثرة خلال يومٍ واحد لَهو أمرٌ مربكٌ حقًّا.**»

قالت الدودة: «**إنه ليس كذلك.**»

قالت أليس: «**ربما لم تجدي الأمر مربكًا حتى الآن، ولكن عندما ستصبحين مُرغمةً على التحول إلى شرنقة — وهذا سوف يحدثُ في يوم من الأيام كما تعلمين — ثم بعد ذلك إلى فراشة، أظن أنكِ ستشعرين بأن الأمرَ غريبٌ بعضَ الشيء، أليس كذلك؟**»

قالت الدودة: «**كلَّا، على الإطلاق.**» قالت أليس: «**قد تكون مشاعرك مختلفة، ولكن كل ما أعرفه هو أن الأمرَ سيبدو غريبًا جدًّا بالنسبة لي أنا.**»

قالت الدودة بازدراء: «**أنتِ! من أنتِ؟**»

وأعادهما هذا السؤال مرةً أخرى إلى بدايةِ الحوار. وشعرت أليس بشيءٍ من الضيقِ بسببِ تعليقات الدودة المقتضبة؛ فانتصبت أليس بقامتها وقالت بجديةٍ بالغة: «**أعتقدُ أنه ينبغي عليكِ أن تخبريني من أنتِ أولًا.**»

قالت الدودة: «**لماذا؟**»

وكان هذا سؤالًا محيرًا آخر، وحيث إن أليس لم تستطع التفكير في أيِّ سببٍ وجيه، وحيث إن الدودة بدت في حالةٍ مزاجيةٍ سيئة، أدارت أليس ظهرها وابتعدت عنها. صاحت الدودة: «**عودي إلى هنا! ليَّ شيءٌ مهم أقوله لكِ.**» بدا كلامها مبشِّرًا؛ فاستدارت أليس وعادت إليها.

قالت الدودة: «**حافظي على هدوئكِ.**» قالت أليس وهي تبتلع غضبها بقدر ما استطاعت: «**أهذا كلُّ شيء؟**»

قالت الدودة: «**لا.**»

رأت أليس أن بإمكانها الانتظار؛ إذ لم يكن لديها شيءٌ آخر تفعله، وربما تخبرها الدودةُ في النهايةِ بشيءٍ يستحق السماع. أخذت الدودة تدخِّن النرجيلة لعدةِ دقائق دون كلام، ولكن أخيرًا فردت ذراعَيها، وأخرجت النرجيلة من فمها مرةً أخرى، وقالت: «**إذن، أنتِ تعتقدين أنَّكِ قد تغيرتِ، أليس كذلك؟**»

قالت أليس: «**أخشى ذلك يا سيدتي ... أنا لا أستطيع تذكر الأشياء كما اعتدت ... ولا أظلُّ بالحجم نفسه لعشر دقائق متتالية!**»

قالت الدودة: «ما الأشياء التي لا تستطيعين تذكُّرها؟»

أجابت أليس بصوتٍ حزين جدًّا: «في الحقيقة، حاولتُ أن أنشد قصيدة: «انظروا إلى النحلة الصغيرة المجتهدة» ولكنها خرجت بصورةٍ مختلفةٍ تمامًا عما هي عليه في الحقيقة.»

قالت الدودة: «أنشدي قصيدة «أنت عجوزٌ أيُّها الأب ويليام».»

عقدت أليس ذراعيها وبدأت تنشد: قال الفتى: «أنتَ عجوزٌ أيُّها الأب ويليام وصار شعرُك شديدَ البياض وعلى الرغم من ذلك تقف على رأسك باستمرار ... هل يصحُّ هذا في مثلِ سنِّك؟»

أجاب الأبُّ ويليام ابنه: «في شبابي خشيتُ أن يؤذي ذلك دماغي لكني الآن متأكدٌ أنه لم يعد لديَّ دماغ فأستطيع أن أقف على رأسي مرارًا وتكرارًا.»

قال الفتى: «أنت عجوزٌ، كما ذكرتُ من قبل وأصبحتَ بدينًا بشكلٍ غير مألوف وعلى الرغم من ذلك تدخل من الباب بقفزةٍ خلفيةٍ خطرة بربِّك ما السببُ في كلِّ ذلك؟»

قال الحكيم وهو يُحرِّك خصلاتِ شعره الرمادية: «**في شبابي حافظتُ على لياقة جميع أطرافي باستخدام هذا المرهم – العلبة بشلن واحد – اسمح لي أن أبيعَ لك علبتين.**»

قال الفتى: «**أنت عجوز، وفكَّاك ضعيفان جدًّا لا يقويان على قضم شيءٍ أصلب من الدُّهن وعلى الرغم من ذلك التهمتَ الإوزة بِعَظْمها ومنقارها بربِّكَ كيف استطعت فعل ذلك؟**»

قال أبوه: «**في شبابي، مارستُ المحاماة وجادلتُ زوجتي في كل القضايا والقوة العضلية التي اكتسبتها فكَّاي من ذلك بَقيت معي طوال الحياة.**»

قال الفتى: «**أنت عجوز، ولا يعتقد أحد أن نظرك ما زال قويًّا كما كان من قبل وعلى الرغم من ذلك، أوقفت سمكة أنقليس متوازنةً على طرف أنفك ما الذي أكسبك كلَّ تلك المهارة؟**»

قال أبوه: «**لقد أجبت على ثلاثة أسئلة وهذا يكفي، لا تأخذ أكبر من حجمك! أتظنُّ أن بإمكاني الاستماع لمثل هذه السخافات طوال اليوم! اذهب! وإلا ركلتُك وأوقعتُك من السلم!**»

قالت الدودة: «**ليست هذه هي الصيغة الصحيحة.**» قالت أليس بخجل: «**للأسف ليست صحيحةً تمامًا؛ لقد غيَّرتُ بعضَ الكلمات.**»

قالت الدودة بنبرةٍ لا تقبل الشكَّ: «**بل هي خاطئةٌ من أولها لآخرها.**»

وساد الصمتُ لبضع دقائق، ثم كانت الدودة أول من تكلم، وسألت: «**ما الحجم الذي ترغبين أن تكوني عليه؟**»

أجابت أليس بسرعة: «**آه، أنا لا أرغب في حجمٍ معين، كل ما يسوءُني هو أن حجمي يتغير كثيرًا، كما تعرفين.**»

قالت الدودة: «**أنا لا أعرف.**»

لم تنبس أليس ببنتِ شفة؛ إذ لم يسبق لها أن عارضها أحدٌ بهذه الكثرة طوال حياتها أبدًا، وشعرت بأنها تفقدُ أعصابها. قالت الدودة: «**هل أنتِ راضية الآن؟**»

قالت أليس: «**في الحقيقة، أنا أودُّ أن أكون أكبرَ قليلًا مما أنا عليه الآن يا سيدتي، إذا لم يكن عندكِ مانع، فثمانية سنتيمترات طولًا لهو حقًّا طولٌ بائسٌ للغاية.**»

قالت الدودة بغضب، وهي تستقيم بقامتها (التي بلغت ثمانية سنتيمترات بالضبط): «**بل هو في الحقيقة طولٌ ممتاز!**»

قالت أليس المسكينة بنبرةٍ متوسِّلةٍ تثيرُ الشفقة: «**لكنِّي لستُ معتادةً عليه!**» وقالت في نفسها: «**أتمنى لو لم تكن هذه المخلوقات تشعرُ بالإهانة بهذه السهولة!**»

قالت الدودة: «**ستعتادين عليه بمرور الوقت**»، ووضعت النرجيلةَ في فمها وأخذت تدخن مجدَّدًا. وفي هذه المرة، انتظرت أليس بصبرٍ حتى تختار الدودة أن تتكلم ثانيةً. وبعد مرور دقيقةٍ أو دقيقتين، أخرجت الدودةُ النرجيلةَ من فمها، وتثاءبت مرةً أو مرتين، وانتفضت. ثم نزلت من فوق الفطر، وزحفت بعيدًا وسط الحشائش، وهي تقول أثناء ذهابها: «**أحد الجانبين سوف يجعلكِ أطول، والجانب الآخر سوف يجعلكِ أقصر.**» تساءلت أليس في نفسها: «**أحد جانبيَّ ماذا؟ والجانب الآخر من ماذا؟**»

قالت الدودة: «**من الفطر**» كما لو كانت أليس قد تساءلت بصوتٍ عالٍ، وبمرور لحظةٍ أخرى، كانت الدودة قد اختفت عن الأنظار.

ظلَّت أليس تنظر إلى الفطر بتأملٍ لمدة دقيقة، وهي تحاولُ أن تكتشف أيَّ هذين الجانبين هو الذي يجب أن تأكلَ منه، وحيث إنه كان مستديرًا بالكامل؛ وجدت أليس صعوبةً شديدة في إجابةِ هذا السؤال. ولكن في النهاية، فردت ذراعيها حول الفطر إلى أبعد ما كانت تستطيع، وكسرت قطعةً من حافةِ الفطر بكلِّ يد.

قالت أليس لنفسها: «**والآن، أيهما هو الجانب المطلوب؟**» وقضمت قضمةً صغيرةً من القطعة التي في يدها اليمني لتجرِّب مفعولها. وفي اللحظة التالية، أحسَّت بضربة عنيفة أسفل ذقنها: لقد اصطدم ذقنها بقدمها! انتابها خوفٌ شديدٌ بسبب هذا التغييرِ المفاجئ، ولكنها شعرت بأنه لا وقت لديها لتضيعه، حيث إن حجمها كان يتقلص بسرعة؛ لذلك بدأت تأكل من القطعة الأخرى على الفور. كانت قدمها تضغط على ذقنها بشدة؛ بحيث لم يعد هناك مُتسعٌ كي تفتح فمها. ولكنها فتحته أخيرًا، واستطاعت أن تبتلع لقمة من القطعة التي في يدها اليسرى.

قالت أليس بسرور: «**وها قد تحرَّر رأسي أخيرًا!**» وسرعان ما تحول سرورها إلى فزع عندما اكتشفت أنها لم تعُد ترى كتفيها. لم تكن ترى عندما تنظر إلى الأسفل سوى رقبةٍ هائلةِ الطول، بدت وكأنها ساقُ نباتٍ تنمو وسط بحرِ الأوراق الخضراء المترامية تحتها بمسافة بعيدة.

قالت أليس: «**ماذا يُمكن أن تكون كل هذه الأشياء الخضراء يا تُرى؟ وأين ذهب كتفاي؟ وآه يا يداي المسكينتان! ماذا حدث جعلني عاجزةً عن رؤيتكما؟**» كانت تُحركهما وهي تتحدث، ولكن لم ينتج عن هذا سوى اهتزازٍ بسيطٍ وسط الأوراق الخضراء البعيدة.

وحيثُ إنه لم يبدُ أن هناك أيُّ فرصة لتصلَ بيديها إلى رأسها، حاولت أن تخفضَ رأسها لتصلَ إلى يديها، وسُرَّت عندما وجدت أن عنقها يستطيع الالتواء في أيِّ اتجاهٍ مثل الثعبان. لقد تمكنت من أن تحنيه إلى الأسفل ليتخذ شكلَ خطٍ متعرِّجٍ رائع. وكانت على وشك الغوص بين الأوراق التي اكتشفت أنها لا شيء سوى قمم الأشجار التي كانت تتجوَّل تحتها، عندما سمعت صوت صفيرٍ حادٍّ جعلها تتراجع على عجل: لقد طارت حمامةٌ ضخمةٌ نحو وجهها، وكانت تضربها بعنفٍ بجناحيها.

صرخت الحمامة قائلةً: «**ثعبان!**»

قالت أليس بغضب: «**أنا لستُ ثعبانًا! دعيني وشأني!**»

أعادت الحمامة قولها ولكن بنبرةٍ أضعف: «**ثعبان، أقولها ثانيةً!**» ثم أضافت بصوتٍ يشبه النحيب: «**لقد جرَّبت كل الطرق، لكن يبدو ألَّا شيء يجدي معهم.**»

قالت أليس: «**ليس لديَّ أدنى فكرة عمَّا تتحدثين عنه.**»

تابعت الحمامة حديثها، دون أن تنتبه لكلام أليس: «**لقد جرَّبت جذورَ الأشجار، وجرَّبت الضفاف، وجرَّبت سياجات الشجر، ولكن يا لتلك الثعابين! لا شيء يرضيها!**»

احتارت أليس أكثر وأكثر، ولكنها اعتقدت أنه لا جدوى من أن تقول شيئًا آخر حتى تنتهي الحمامة من كلامها.

قالت الحمامة: «**كما لو كان احتضان البيض ليس فيه ما يكفي من المتاعب، حتى يكون واجبًا عليَّ أن أنتبه للثعابين ليلًا ونهارًا! أنا لم تغمض لي عينٌ طوال هذه الأسابيع الثلاثة!**»

قالت أليس بعد أن بدأت تفهم ما تقصده الحمامة: «**أنا آسفةٌ جدًّا لإزعاجك!**»

تابعت الحمامة رافعةً صوتها إلى حدِّ الصراخ: «**وما إن سكنت أعلى شجرةٍ في الغابة، وما إن فكَّرت أني قد تخلَّصت منها أخيرًا، حتى تتساقط عليَّ متلويَّة من السماء! آخ! أيها الثعبان!**»

قالت أليس: «**ولكني أقولُ لكِ إني لستُ ثعبانًا! أنا ... أنا...**»

قالت الحمامة: «**مَن أنتِ إذن! أراكِ تحاولين أن تختلقي شيئًا ما!**»

قالت أليس بشيءٍ من الشكِّ: «**أنا ... أنا فتاةٌ صغيرة**»؛ حيث إنها تذكَّرت كل تلك التغييرات التي مرَّت بها طوال ذلك اليوم.

قالت الحمامة بازدراءٍ حقيقي: «**قصةٌ مُحتمَلةٌ حقًّا! لقد رأيت كثيرًا من الفتيات الصغيرات طوال حياتي، ولكني لم أرَ واحدة لها عنق كهذا! لا، لا! أنتِ ثعبان! ولن يفيد الإنكار. أعتقد أنك ستخبرينني أيضًا أنه لم يسبق لكِ أن تذوقتِ بيضةً أبدًا!**»

قالت أليس (وهي الطفلة الصادقة): «**بالتأكيد تذوَّقتُ البيض، لكن الفتيات الصغيرات يأكلن البيض بقدر ما تأكله الثعابين، كما تعرفين.**»

قالت الحمامة: «**أنا لا أصدق هذا، ولكن إذا كُنَّ يأكلن البيض، فهنَّ نوعٌ من الثعابين إذن، هذا كل ما أستطيع قوله.**»

كانت هذه فكرةً جديدةً تمامًا بالنسبة لأليس، حتى إنها التزمت الصمت لمدة دقيقةٍ أو دقيقتين، وهو ما أعطى الفرصةَ للحمامة كي تضيف: «**أنتِ تبحثين عن البيض، أعرف ذلك جيِّدًا، وماذا يعنيني إن كنتِ فتاةً صغيرة أو ثعبان؟**»

قالت أليس بسرعة: «**بل هو يعنيني كثيرًا، ولكني لا أبحث عن البيض كما تقولين، ولو كنت أبحث عن البيض، فأنا لا أرغب في بيضك؛ أنا لا أحب البيض النيئ.**»

قالت الحمامة بعبوس وهي تستقرُّ مجدَّدًا في عشِّها: «**انصرفي من هنا إذن!**»

انحنت أليس وجلست بين الأشجار بصعوبةٍ بالغة؛ فقد كان عنقها يتشابك باستمرارٍ مع الفروع، وكانت تتوقف بين الحين والآخر كي تخلصه منها. وبعد مرور بعض الوقت، أدركت أنها ما زالت تحمل بيديها قطعتي الفطر، وشرعت في العمل بحرصٍ شديد: تقضم إحداهما أولًا، ثم تقضم الأخرى، وتزداد طولًا أحيانًا وقِصرًا أحيانًا أخرى، حتى نجحت في أن تصل بنفسها إلى طولها المعتاد.

لقد مضى وقتٌ طويل جدًّا منذ أن كانت بحجمٍ يقاربُ حجمها الصحيح، حتى إنها شعرت بشيءٍ من الغرابة في البداية، لكنها اعتادت الأمر بعد بضع دقائق، وبدأت تحدِّث نفسها كعادتها وتقول: «**ها قد نفَّذتُ نصف خطتي! كم هي محيرة كل تلك التغييرات! فأنا لا أعلم ما سأصير عليه بين دقيقةٍ وأخرى! ولكني عُدت إلى حجمي الصحيح على أيَّة حال. الهدف التالي هو أن أصل لتلك الحديقة الجميلة ... كيف يُمكنني فعل ذلك يا تُرى؟**» وبينما كانت تحدث نفسها بذلك، وصلت فجأة إلى مكانٍ مفتوح، فيه بيتٌ صغيرٌ، يبلغ طوله حوالي مترًا وعشرين سنتيمترًا. فكَّرت أليس: «**أيَّما كان مَن يسكن هنا، فلن يُجدِيَ نفعًا أن أظهر له بذلك الحجم، سوف أخيفه إلى حدٍّ يفقده صوابه!**» لذا بدأت تأكل مرةً أخرى من القطعة التي في يدها اليمنى، ولم تغامر بالاقتراب من البيت الصغير إلا بعد أن صار طولها عشرين سنتيمترًا.


عصير الكتب للنشر والتوزيع

الفصل السادس

الخنزير والفلفل

وقَفت أليس لمدة دقيقةٍ أو دقيقتين، تنظرُ إلى البيت، وتتساءل عمَّا ستفعله بعد ذلك، حين أتى فجأةً خادم بِلباسِ الخَدَمِ الرسميِّ، يركض قادمًا من ناحية الغابة (وقد اعتبرته خادمًا لأنه كان يرتدي زِيَّ الخدَم، ولو كان الأمرُ خلاف ذلك، وحكمت عليه من خلال وجهه فقط لكانت دعَته سمكة) وطرَقَ على الباب بقبضتَيه طرقًا شديدًا. فتح الباب خادم آخر يرتدي زيَّ الخدم، وله وجهٌ مستدير وعينان كبيرتان مثل الضفدع. ولاحظت أليس أن كلا الخادمَين لهما شعرٌ مُموَّجٌ مصبوغٌ بالمساحيق، ويكسو رأسَيهما بالكامل. شعرتْ أليس بفضولٍ شديدٍ لمعرفة ما يحدُث، وتسلَّلت قليلًا من بين أشجار الغابة كي تسمع.

بادرَ الخادمُ السمكةُ وأخرج من تحت ذراعه خطابًا كبيرًا، يكاد يكون في نفس حجمه تقريبًا، وسلَّمه إلى الخادم الآخر، وهو يقول بنبرة وقار: «**إلى الدوقة. دعوةٌ من الملكة للَعِب الكروكيت.**» أعاد الخادمُ الضفدعُ ما قيل، بنفس نبرة الوقار، ولكن مع تغيير ترتيبِ الكلمات قليلًا: «**من الملكة. دعوةٌ إلى الدوقة للعب الكروكيت.**»

ثم انحنى الاثنان تحيةً، وتشابكت خصلات شعرهما المموَّجة. ضحكت أليس كثيرًا على هذا الموقف، حتى إنها عادت راكضةً إلى الغابة؛ خوفًا من أن يسمعاها، وعندما اختلست النظر بعد ذلك كان الخادمُ السمكةُ قد رحل، وكان الخادم الآخر يجلس على الأرضِ قُرب الباب، وينظر ببلاهةٍ إلى السماء. اتَّجهت أليس بخجلٍ نحو الباب، وطَرَقته.

قال الخادم: «**لا جدوى من طرق الباب، وذلك لسببَين. أولًا، لأني على نفس الجانب الذي أنتِ عليه من الباب. وثانيًا، لأنهم يُحدِثون جَلَبةً عاليةً بالداخل، فلن يستطيع أحدٌ أن يسمعكِ.**» وبالتأكيد، كان هناك جلبة غير عادية تحدث في الداخل ... صراخ وعطس بشكل مستمر، وصوت تحطُّمٍ

هائلٍ بين الحين والآخر، كما لو أن طبقًا أو إبريقًا قد تحطَّم إلى قطعٍ صغيرة.

قالت أليس: «**من فضلك، كيف يُمكنني الدخول إذن؟**»

مضى الخادمُ في حديثه، من دون أن ينتبه لما قالته، وقال: «**كان من الممكن أن يكون لطرقكِ على الباب معنى، لو كان الباب بيننا. فمثلًا، إذا كنتِ بالداخل، لكان من الممكن أن تطرقي على الباب، ولفتحت الباب وسمحت لكِ بالخروج، كما تعلمين.**» كان ينظر إلى السماء طوال الوقت وهو يتحدَّث، ورأت أليس أن هذا تصرَّفٌ غيرُ مُهذَّبٍ بلا شك. قالت لنفسها: «**ولكن ربما لا يُمكنه أن يفعلَ غير ذلك؛ فَعَيناه في قمة رأسه تقريبًا. ولكن على أيِّ حال، يُمكنه الإجابة على الأسئلة.**» ثم أعادت سؤالها بصوتٍ عالٍ وقالت: «**كيف يمكنني الدخول؟**»

علَّق الخادم قائلًا: «**سأجلس هنا حتى صباح الغد ...**» وفي هذه اللحظة، فُتح الباب، وطار طبقٌ كبيرٌ في اتجاه رأس الخادم، فَخدَش أنفه، ثم تحطَّم إلى قطعٍ صغيرة عندما اصطدم بإحدى الشجرات الموجودة خلفه.

واصل الخادم حديثه بنفس النبرة، بالضبط كما لو أن شيئًا لم يحدث: «... **أو ربما بعد غد.**»

سألت أليس مرةً أخرى بصوتٍ أعلى: «**كيف يُمكنني الدخول؟**»

قال الخادم: «**هل يجوز لكِ الدخول أصلًا؟ هذا هو السؤال الأول.**»

لا شكَّ أن هذا حقيقيٌّ، ولكن أليس لم تحب أن يخبرها أحدٌ بذلك. تمتمت لنفسها: «**الطريقة التي تجادل بها هذه المخلوقات لا تُحتمل، إنها تكفي لدفع المرءِ إلى الجنون!**»

وبدا أن الخادم قد رآها فرصةً جيدةً ليعيد تعليقه، مع بعضِ الاختلافات، فقال: «**سأجلس هنا، من حينٍ لآخر، لأيامٍ وأيام.**»

قالت أليس: «**ولكن ماذا أفعل أنا؟**»

قال الخادم: «**أيَّ شيءٍ تحبينه**»، ثم أخذ يُصفِّر.

قالت أليس وقد أصابها اليأس: «**آه، لا جدوى من التحدث إليه، إنه معتوهٌ تمامًا!**» وفتحت الباب ودخلت.

كان الباب يؤدِّي مُباشرةً إلى مطبخٍ واسعٍ مليءٍ بالدخان من أوله لآخره، وكانت الدوقة تجلس في وسط الغرفة، على مقعدٍ ذي ثلاثة أرجل، وتُهدهد طفلًا رضيعًا. وكانت الطاهية منحنيةً على النار، وتقلِّب مرجلًا كبيرًا كان يبدو أنه مليءٌ بالحساء. قالت أليس لنفسها بقدر ما استطاعت أن تتكلم وهي تعطس: «**هناك الكثير من الفلفل في هذا الحساء بالتأكيد.**»

بالتأكيدِ كان هناك الكثير من الفلفل في الهواء. حتى الدوقة كانت تعطِس من حينٍ لآخر، أما الرضيع فكان يعطِس ويصرخ بالتناوب بدون توقف ولو للحظة. كان كل من الغرفة يعطِس، ما عدا اثنين: الطاهية، وقط كبير كان يجلس أمام المدفأة، ويبتسم ابتسامةً عريضةً تصل إلى أذنيه.

قالت أليس بشيءٍ من الخجل؛ لأنها لم تكن متأكدةً مما إذا كان من الأدب أن تتكلم هي أولًا: «**من فضلكِ، لماذا يبتسم قطُّك هكذا؟**»

قالت الدوقة: «إنه قط الشيشاير، هذا هو السببُ. يا خنزير!»

قالت الدوقةُ الكلمة الأخيرة بعنفٍ مفاجئٍ كاد أن يجعل أليس تقفز من مكانها، ولكن سرعان ما أدركت أليس أن الكلمة كانت موجهةً للرضيع وليس لها؛ فاستجمعت شجاعتها، وواصلت حديثها مجدَّدًا: «**لم أكن أعلم أن قطط الشيشاير تبتسم طوال الوقت، وفي الحقيقة لم أكن أعلم أن القططَ يمكنها أن تبتسم.**»

قالت الدوقة: «**جميع القططِ يمكنها أن تبتسم، ومعظمها تبتسم.**»

قالت أليس بأدبٍ بالغٍ، وهي مسرورة جدًّا لأنها أصبحت تشارك في حوار: «**لا أعرف أيَّ قطٍّ من القطط التي تبتسم.**»

قالت الدوقة: «**أنتِ لا تعرفين الكثير، هذه حقيقة.**»

لم تحب أليس النبرة التي قيل بها هذا التعليق على الإطلاق، واستحسنت أن تفتح موضوعًا آخر للحديث. وبينما كانت تبحث عن موضوعٍ آخر، أزاحت الطاهية المرجل من فوق النار، وبدأت على الفور في إلقاء كل شيءٍ كان في متناول يدها على الدوقة والرضيع. بدأت أولًا بإلقاء القطع الحديدية المستخدمة في إشعال وتقليب النار، ثم تبعتها بوابلٍ من المقالي والأطباق والصحون.

لم تُعِر الدوقة أيَّ انتباه للأشياء التي كانت تُلقى عليها، حتى عندما كانت تصيبها. أما الرضيع فكان يصرخ بشدةٍ من قبل كل هذا أصلًا، فكان من المستحيل معرفة ما إذا كانت الضربات تؤلمه أم لا. صاحت أليس وهي تقفز من الرعب: «**آه، من فضلكِ انتبهي لِمَا تفعلين! ربَّاه! ها هو أنفه الغالي يطير!**» إذ طارت مقلاةٌ ضخمةٌ بالقرب من أنف الرضيع وكادت تقطعه.

قالت الدوقة متذمرةً بصوتٍ أجشٍ: «**لو اهتم كل امرئٍ بما يعنيه فقط لدار العالم أسرع كثيرًا مما يدور.**»

قالت أليس التي شعرت بالسرور الشديد؛ لأنه قد أصبح لديها فرصةٌ لتستعرض القليل من معرفتها: «**ولن تكون هذه ميزة، فكِّري فقط في تأثير ذلك على تتابع الليلِ والنهار! فأنتِ تعلمين أن الأرض تستغرق أربعًا وعشرين ساعةً لتقطع دورةً كاملةً حول محورها ...**»

قالت الدوقة: «**بمناسبة الحديثِ عن القطع، اقطعي رأسها!**»

ألقت أليس نظرةً قلقةً نحو الطاهية؛ لترى ما إذا كانت تنوي تنفيذ الأمر، لكن الطاهية كانت منهمكةً في تقليب الحساء، وبدا أنها لا تستمع لما يُقال، فواصلت أليس حديثها مجدَّدًا: «**أربعًا وعشرين ساعة، أعتقد، أم أنها اثنتا عشرة؟ أنا ...**»

قالت الدوقة: «آه، **لا تزعجيني، فأنا لا أتحمل الأرقامَ أبدًا!**»

وبعد أن قالت ذلك، أخذت الدوقة تهدهد طفلها مجدَّدًا، وتغنِّي له ما يُشبه الأنشودة، وهي تهزه بعنفٍ عند نهاية كل شطر:

«**تحدَّثي مع ابنِكِ الصغير بخشونة**

واضربيه حين يعطِس

فهو يبكي فقط ليزعجكِ

لأنه يعرف أن البكاء مزعج.»

الكُورَس (الذي شارك فيه الرضيع والطاهية): «هووو! هووو! هووو!»

وكانت الدوقة، أثناء غنائها للمقطع الثاني، تقذف الرضيعَ بعنفٍ لأعلى ولأسفل، وكان الصغير المسكين يصرخ بشدة، إلى درجة أن أليس لم تستطع سماع الكلمات جيدًا:

«أتحدَّثُ بغلظةٍ مع ابني

وأضربه حين يعطِس

لأنه يستطيع الاستمتاع تمامًا

بالفلفل حينما يريد!»

الكُورَس:

«هووو! هووو! هووو!»

قالت الدوقة لأليس، وهي تقذف بالرضيعِ نحوها وهي تتكلم: «**خذي، يمكنكِ أن تهدهديه قليلًا إن شئتِ! يجب عليَّ أن أذهب وأستعد للعب الكروكيت مع الملكة**»، وخرجت من الغرفة مُسرعةً. ألقت الطاهية بمقلاةٍ في إثرها وهي خارجة، ولكنها لم تصبها. التقطت أليس الرضيع بصعوبة؛ لأنه كان مخلوقًا صغيرًا ذا شكلٍ غريب، ويمدُّ ذراعَيه ورجلَيه في جميعِ الاتجاهات، «**تمامًا مثل نجم**

البحر» كما ظنَّت أليس. وكان المخلوق الصغير المسكين يشخِّر مثل محركٍ بخاريٍ عندما حملته أليس، وكان يثني نفسه ويفردها مرةً أخرى، حتى إنها قضت أول دقيقةٍ أو دقيقتين تحاول قدر استطاعتها أن تمسك به.

وما إن اكتشفت الطريقة الصحيحة لهدهدته، (والتي كانت أن تلويه على شكلٍ يشبه العقدة، ثم تمسك أذنه اليمنى ورجله اليسرى بإحكامٍ؛ كي تمنعه أن يفك نفسه) حتى حملته وخرجت به إلى الهواء الطلق. فكَّرت أليس: «**إذا لم آخذ هذا الطفل معي، فسوف يقتلانه في يومٍ أو يومين. ألن يكون تركه جريمة قتل؟**» قالت الكلمات الأخيرة بصوتٍ عالٍ، فَنَخَر المخلوق الصغير ردًّا عليها (وكان قد توقف عن العطس في ذلك الوقت). قالت أليس: «**لا تنخُر، هذه ليست طريقةً مهذبةً للتعبيرِ عن نفسك على الإطلاق.**»

نَخَر الرضيع مرةً أخرى، ونظرت أليس إلى وجهه بقلقٍ شديد لترى ما المشكلة. كان أنفه بلا شك مرفوعًا لأعلى بشدة، وكان أقرب إلى خَطْم[1] الخنزيرِ منه إلى أنفٍ حقيقي، كما صارت عيناه صغيرتين جدًّا بالنسبة لعيني

(١) خَطْم: أنف أو منقار.

طفل. لم تحب أليس شكل الكائن على الإطلاق. فكَّرت أليس: «... **لكن ربما يكون هذا بسبب نحيبه فقط**»، ونظرت إلى عينيه مجدَّدًا لترى ما إذا كانت هناك دموع.

لا، لم يكن هناك دموع. قالت أليس بجدية: «**إذا كنت ستتحوَّل إلى خنزير، فلن تكون لي بك أيَّة صلة، انتبه!**» انتحب الكائن الصغير المسكين مرةً أخرى، (أو نَخَر، فلم يكن من الممكن أن تحدد أيهما فَعَل)، ثم ساد الصمت لبعض الوقت.

كانت أليس قد بدأت تفكِّر بينها وبين نفسها: «**والآن، ماذا سأفعل بهذا الكائن عندما أعود إلى البيت؟**» وحينها نخر الكائن مجدَّدًا بعنفٍ شديد، إلى درجة أنها نظرت إلى وجهه بشيءٍ من الذعر. هذه المرة، لم يكن هناك مجال للخطأ؛ إنه خنزيرٌ لا أقل ولا أكثر، وشعرت أنه من العبث أن تحمله لأبعد من ذلك.

وهكذا، وضعت أليس الكائن الصغير على الأرض، وشعرت بارتياحٍ كبيرٍ عندما رأته يهرول بهدوءٍ بعيدًا ويدخل الغابة. قالت لنفسها: «لو كان قد كبر لأصبح طفلًا قبيحًا ببشاعة، ولكني الآن أراه خنزيرًا وسيمًا.» وأخذت

تفكر في الأطفال الآخرين الذين تعرفهم ممن كان من الممكن أن يصبحوا خنازير جيدة. قالت لنفسها: «**لو يعلم المرء فقط الطريقة الصحيحة لتحويلهم ...**» وحينها أصابها شيءٌ من الفزع إذ رأت قطَّ الشيشاير جالسًا فوق غصن شجرةٍ على بُعد بضعة أمتارٍ منها.

اكتفى القطُّ بالابتسام عندما رأى أليس. وظنت أليس أنه يبدو طيب الطباع، ولكنه لديه مخالب طويلة جدًّا، وأسنان كبيرة كثيرة، وشعرت أنه ينبغي عليها أن تعامله باحترام. بدأت أليس تحدثه بخشيةٍ قائلةً: «**يا قطيط الشيشاير**»؛ حيث إنها لم تكن تعرف ما إذا كان سيحب هذا الاسم أم لا، ولكنه لم يفعل شيئًا سوى أنه ابتسم ابتسامةً أوسع قليلًا. فكَّرت أليس في نفسها: «**هيَّا، إنه راضٍ حتى الآن.**»

ثم واصلت حديثها إلى القط قائلةً: «**من فضلك، هلَّا أخبرتني أيَّ طريقٍ عليَّ أن أسلك لأخرج من هنا؟**»

قال القط: «**هذا يعتمد كثيرًا على المكان الذي تودِّين الوصول إليه.**»

قالت أليس: «**لا يهمني كثيرًا المكان ...**»

قال القط: «**إذن لا يهم أيَّ طريقٍ تسلكين ...**»

أضافت أليس مُفسِّرةً: «**... ما دمت سأصل إلى مكان ما.**»

قال القط: «**ياه! بالتأكيد ستصلين إلى مكانٍ ما، إذا مشيت لمسافةٍ طويلةٍ بما يكفي.**»

شعرت أليس أنَّه لا يمكن إنكار هذا؛ لذلك حاولت أن تسأل سؤالًا آخر: «**أيُّ نوع من الناس يعيش هنا؟**»

قال القطُّ، وهو يشير بحافره الأيمن: «**في تلك الناحية، يعيش صانعُ القبعات**»، ثم تابع وهو يشير بحافره الآخر: «**وفي تلك الناحية، يعيش أرنبُ مارس البريُّ. قومي بزيارة أيٍّ منهما، فكلاهما مجنون.**»

علَّقت أليس: «**ولكني لا أودُّ أن أذهب لأكون بين أناسٍ مجانين.**»

قال القط: «**آه، لا يمكنكِ تجنب ذلك، كلنا هنا مجانين. أنا مجنونٌ. أنتِ مجنونةٌ.**»

قالت أليس: «**كيف عرفت أني مجنونة؟**»

قال القط: «**لا بدَّ أن تكوني مجنونةً، وإلا لما أتيتِ إلى هنا.**»
لم ترَ أليس أن هذا إثباتٌ كافٍ على الإطلاق، ولكنها تابعت قولَها: «**وكيف عرفتَ أنك مجنون؟**»

قال القط: «**مبدئيًّا، الكلبُ ليس مجنونًا، هل توافقين على ذلك؟**»

قالت أليس: «**أعتقد ذلك.**»

واصل القطُّ كلامه: «**أنتِ تعرفين أن الكلب يزمجر عندما يكون غاضبًا، ويهزُّ ذيله عندما يكون سعيدًا. أما أنا فأزمجر عندما أكون سعيدًا، وأهزُّ ذيلي عندما أكون غاضبًا. لذلك أنا مجنون.**»

قالت أليس: «**أنا أسمِّيها هرهرة لا زمجرة.**»

قال القط: «**سمِّها ما شئتِ. هل ستلعبين الكروكيت مع الملكة اليوم؟**»

قالت أليس: «**كنت سأحب أن أحضر جدًّا؛ ولكن لم يدعُني أحدٌ بعد.**»

قال القط: «**سترينني هناك**»، ثم اختفى.

لم تندهش أليس كثيرًا من اختفاء القط، فقد بدأت تعتاد على حدوث أشياءٍ غريبة. وبينما كانت تنظر إلى المكان الذي كان فيه، فاجأها بالظهورِ مرةً أخرى. قال القط: «**بالمناسبة، ماذا حدث للرضيع؟ كدت أنسى أن أسأل.**»

أجابت أليس بهدوء، كما لو كان القط قد عاد بطريقةٍ طبيعية: «**لقد تحوَّل إلى خنزير.**»

قال القط: «**ظننتُ أن هذا ما سيحدث.**» ثم اختفى مجدَّدًا.

انتظرت أليس قليلًا، وهي تتوقع أن تراه مجدَّدًا، ولكنه لم يظهر، وبعد مرور دقيقةٍ أو دقيقتين، سارت في الناحية التي قال القط إن أرنب مارس البريَّ يعيش فيها. قالت لنفسها: «**لقد رأيت بعض صانعي القبعات من قبل، وأرنب مارس البريُّ سيكون هو الأكثر إثارة، ولأننا في شهرِ مايو فربما لا يكون مجنونًا إلى حدِّ الهذيان ... على الأقل ليس كما كان في شهرِ مارس.**» وبينما كانت تقول هذا نظرت لأعلى، وإذا بالقطِّ مجدَّدًا يجلس على فرع شجرة.

قال القط: «**هل قلتِ خنزير أم جنزير؟**»

قالت أليس: «**قلتُ خنزير، وأتمنى ألا تستمر في الظهور والاختفاء بهذه الطريقة المفاجئة؛ فأنت تصيبني بالدوار.**»

قال القط: «**حسنًا**»، وفي هذه المرة، اختفى ببطءٍ شديد، ابتداءً من طرف ذيله، وانتهاءً بالابتسامة التي ظلَّت لبعض الوقت بعد أن اختفى باقي جسده.

فكَّرت أليس: «**كثيرًا ما رأيتُ قطًّا من دون ابتسامة، ولكن ابتسامة من دون قِطٍّ! هذا أغربُ شيءٍ رأيته طوالَ حياتي!**»

ولم تبتعد كثيرًا حتى رأت منزل أرنبِ مارس البري. واعتقدت أليس أن هذا هو المنزل الصحيح؛ لأن المدختنين كانتا على شكل أذنين، وكان السقف مفروشًا بالفراء. لقد كان منزلًا كبيرًا جدًّا، حتى إنها لم تحب أن تقترب منه إلا بعد أن قَضَمت قضمةً أخرى من قطعة الفطر التي في يدها اليسرى، وصار طولها حوالي ستين سنتيمترًا. وحتى بهذا الطول، سارت نحو المنزل بشيءٍ من الخجلِ والتردد، وهي تقول لنفسها: «**ماذا لو كان مجنونًا إلى حدِّ الهذيان في النهاية! أكاد أتمنى لو أني ذهبت لرؤية صانع القبعاتِ بدلًا منه.**»



الفصل السابع

حفل شاي عند المجانين

كان هناك مائدةٌ موضوعةٌ تحت شجرةٍ أمام المنزل، وكان أرنب مارس البريُّ وصانع القبعات يحتسيان الشاي حولها. وكان يجلس بينهما حيوانُ الزغبة مستغرقًا في النوم، وقد اتخذه الاثنان كوسادة، يسندان عليه كوعَيهما، ويتحدثان من فوق رأسه. فكَّرت أليس: «**هذا غير مريحٍ للزغبةِ على الإطلاق، ولكني أعتقد أنه ما دام نائمًا فهو لا يبالي.**» كانت المائدةُ كبيرةً جدًّا، ولكن الثلاثةَ احتشدوا سويًّا في ركنٍ من أركانها.

صاحوا عندما رأوا أليس قادمة: «**لا يوجد مكان! لا يوجد مكان!**»

قالت أليس في غضب: «**هناك مكانٌ مُتسع!**» وجلست على كرسيٍّ كبيرٍ مُنجَّدٍ ذي مَسندَين، عند أحد أطراف

المائدة. قال أرنبُ مارس البريُّ بنبرةٍ مُشجِّعة: «**تفضَّلي بعض النبيذ.**»

نظرت أليس في جميع أنحاء المائدة، ولكن لم يكن فوقها سوى الشاي، فعلَّقت أليس: «**أنا لا أرى أيَّ نبيذ.**»

قال أرنبُ مارس البري: «**لا يوجد أيُّ نبيذ.**»

قالت أليس بغضب: «**إذن لم يكن تصرفًا مهذبًا منكَ أن تعرضه عليَّ.**»

قال أرنبُ مارس البري: «**ولم يكن تصرفًا مهذبًا منكِ أن تجلسي من دون دعوة.**»

قالت أليس: «**لم أكن أعلم أن هذه مائدتك، إنها مُعدَّة لأكثر من ثلاثة أفرادٍ بكثير.**»

قال صانعُ القبعات: «**أنتِ في حاجةٍ إلى قَصَّةِ شعر.**» لقد كان ينظر إلى أليس بفضولٍ كبيرٍ لبعض الوقت، وكان هذا أول كلام نطق به. قالت أليس بنبرةٍ صارمة: «**يجب عليكَ أن تتعلم ألَّا تبدي تعليقاتٍ شخصية، هذه وقاحةٌ كبيرة.**»

اتَّسعت عيناه عند سماعه لهذا الكلام، ولكن كل ما قاله كان: «**لماذا يشبه الغرابُ المكتب؟**»

فكَّرت أليس في نفسها: «**جميل، سنحظى الآن ببعضِ المتعة! أنا مسرورةٌ لأنهما قد بدآ يقولان أحاجي**»، ثم أضافت بصوتٍ عالٍ: «**أعتقد أني يمكنني تخمين ذلك.**»

قال أرنبُ مارس البريُّ: «**هل تقصدين بذلك أنكِ يمكنكِ معرفة حل هذه الأحجية؟**»

قالت أليس: «**بالضبطِ هذا ما أقصده.**»

فقال أرنبُ مارس البري: «**إذن، يجب أن تقولي ما تقصدين.**»

قالت أليس بسرعة: «**أنا أقول ما أقصد، على الأقل ... على الأقل أنا أقصد ما أقول ... إنه الشيء نفسه، كما تعلم.**»

قال صانعُ القبعات: «**ليس الشيء نفسه على الإطلاق! عجبًا! كأنكِ تقولين إنَّ «أرى ما آكله» هي نفسها «آكل ما أراه»!**»

وأضاف أرنبُ مارس البري: «**وكأنك تقولين إنَّ «أُحب ما أحصل عليه» هي نفسها «أحصلُ على ما أُحب»!**»

أضاف الزغبةُ الذي بدا أنه يتكلم وهو نائم: «**وكأنكِ تقولين إنَّ «أتنفس عندما أنام» هي نفسها «أنام عندما أتنفس»!**»

قال صانعُ القبعات: «**إنهما الشيء نفسه بالنسبة لك، كما تعلم**»، وهنا توقف الحوار، وجلس الجميع في صمتٍ

لمدة دقيقة، بينما كانت أليس تفكِّر في كل ما استطاعت أن تتذكَّره عن الغربان والمكاتب، ولم يكن هذا كثيرًا. وكان صانعُ القبعات هو أول من كسر الصمت. قال وهو يلتفت نحو أليس: «**في أيِّ يوم من أيام الشهر نحن اليوم؟**» أخرج ساعته من جيبه، وأخذ ينظر فيها بلا ارتياح، ويهزُّها من حينٍ لآخر، ثم يقربها من أذنيه.

فكَّرت أليس قليلًا ثم قالت: «**الرابع من الشهر.**»

تنهَّد صانعُ القبعات قائلًا: «**يومان خطأ!**» وأضاف وهو ينظر بغضبٍ إلى أرنب مارس البري: «**قلتُ لك إن الزُّبد لن تنفع.**»

أجابه أرنبُ مارس البريُّ بتواضع: «**لقد كانت من أفضل أنواع الزُّبد.**»

تذمَّر صانعُ القبعات وقال: «**أجل، ولكن لا بدَّ أن بعض الفتات قد دخل فيها أيضًا، لم يكن ينبغي أن تضع الزُّبدَ فيها بسكين الخبز.**»

أمسك أرنبُ مارس البريُّ الساعة، ونظر إليها عابسًا، ثم غَمَسَها في فنجان الشاي الذي أمامه، ونظر إليها مرةً أخرى، ولكنه لم يستطع التفكير في أيِّ شيء أفضل من

تعليقه الأول ليقوله: «**لقد كانت من أفضل أنواع الزُّبد، كما تعلم.**»

كانت أليس تنظر من فوق كتفه بفضول، وعلَّقت قائلةً: «**يا لها من ساعةٍ غريبةٍ! إنها تخبرك باليوم والشهرِ، ولا تخبرك كم الساعة الآن!**»

تمتم صانعُ القبعات قائلًا: «**ولماذا تفعل ذلك؟ هل تخبركِ ساعتكِ في أيِّ عامٍ نحن؟**»

أجابت أليس بسرعة: «**بالطبع لا، ولكن ذلك لأنه يظلُّ العام نفسه لمدة طويلة جدًّا.**»

قال صانعُ القبعات: «**وهذا هو بالضبط حال ساعتي.**»

شعرت أليس بحيرةٍ بالغة. لقد بدا لها تعليق صانعِ القبعات بلا أيِّ معنًى، بالرغم من أنه قيل بلغةٍ سليمة بالتأكيد.

قالت بكل ما استطاعت من تأدُّب: «**أنا لا أفهمك جيدًا.**»
قال صانعُ القبعات: «**نام الزغبةُ مجددًا**»، ثم سكب القليل من الشاي الساخنِ في أنفه.

هزَّ الزغبةُ رأسَه بنفادِ صبر، وقال دون أن يفتح عينيه: «**بالطبع، بالطبع، هذا بالضبط ما كنت سأقوله أنا.**»

التفت صانعُ القبعات نحو أليس مجدَّدًا وقال: «**هل خمَّنتِ حل الأحجية بعدُ؟**»

قالت أليس: «**لا، لقد يئستُ من المحاولة، ما الحل؟**»

قال صانعُ القبعات: «**ليس لديَّ أيُّ فكرة.**»

قال أرنبُ مارس الوحشي: «**ولا أنا.**»

تنهَّدت أليس بملل، وقالت: «**أعتقد أنه من الأفضل لكما أن تستغلا الوقت بشكلٍ أفضل من أن تضيعانه في وضع أحاجٍ لا حلول لها.**»

قال صانعُ القبعات: «**لو كنتِ تعرفين الوقت كما أعرفه أنا لما تحدَّثتِ عنه وكأنه شيء، إنه شخصٌ عاقل.**» قالت أليس: «**لا أفهم ما تعنيه.**»

قال صانع القبعات، وهو يحرِّك رأسه بازدراء: «**بالطبع لا تعرفين! أكاد أجزم أنكِ لم تتحدَّثي إلى الوقت أبدًا.**»

أجابت أليس بحرص: «**ربما لا، ولكني أعرف أن عليَّ وزن الإيقاع واللحن على الوقت وأنا ألعب الموسيقى.**»

قال صانعُ القبعات: «آه! هذا يفسر كل شيء، إن الوقت لا يتحمل كل هذه الأوزان. أما إذا كنتِ على علاقةٍ طيبةٍ به لَجَعَل الساعة تفعل لكِ كل ما تريدين. فمثلًا، افرضي أن الساعة الآن التاسعة صباحًا، وقت بداية حصصِ المدرسة بالضبط: كل ما كان عليكِ هو أن تهمسي للوقتِ بكلمةٍ واحدة، فتدور الساعة في غمضة عين! فإذا هي الساعة الواحدة والنصف، وقت الغداء!»

همس أرنبُ مارس البريُّ لنفسه: «يا ليت هذا كان صحيحًا!»

قالت أليس بتأمل: «سيكون الأمر عظيمًا بالتأكيد، ولكني حينئذٍ ... لن أكون جائعةً كي أتناولَ الغداء، كما تعلم.»

قال صانعُ القبعات: «ربما ليس في البداية، ولكن يمكنكِ أن تُبقي الساعة متوقفةً عند الواحدة والنصف طوال الوقت الذي تريدينه.»

سألت أليس: «هل هذه هي الطريقة التي تدبِّر بها أمورك؟»

أجاب صانعُ القبعات، وهو يهزُّ رأسه نافيًا بحزن: «لا، ليس أنا، لقد تشاجرت مع الوقت في شهر مارس الماضي»،

وواصل وهو يشير بملعقته إلى أرنبِ مارس البريِّ: «... **قبل أن يُجنَّ مباشرة، كما تعلم ... لقد كان هذا في الحفل الغنائي الكبير الذي أقامته ملكة القلب الأحمر، وكان عليَّ أن أغني:**

«**تلألأ تلألأ أيها الخفَّاش!**

إنني أتساءلُ أين أنت!»

أنتِ تعرفين هذه الأغنية على الأرجح، أليس كذلك؟»

قالت أليس: «**سمِعتُ شيئًا يشبهها من قبل.**»

واصل صانعُ القبعات قائلًا: «**إنَّ تكملتها، كما تعلمين:**

عاليًا في أعالي العالم تطير

مثل صينية شاي في السماء

تلألأ تلألأ ...»

وهنا، اهتزَّ الزغبة، وبدأ يغنِّي وهو نائم: «**تلألأ، تلألأ، تلألأ، تلألأ ...**» وأخذ يكرِّرها كثيرًا؛ حتى اضطروا أن يقرصوه كي يتوقف.

قال صانعُ القبعات: «**وما كدتُ أنتهي من غناء المقطعِ**

الأول حتى قفزت الملكة من مكانها ونهرتني قائلةً: «إنه يقتل الوقت، اقطعوا رأسه!»»

تعجَّبت أليس وقالت: «**يا له من تصرفٍ وحشيٍّ بشع!**»

ومضى صانعُ القبعات في حديثه قائلًا بنبرةٍ حزينة: «**ومنذ ذلك الحين، لا يفعل الوقتُ أيَّ شيء أطلبه منه! والساعة تشير دائمًا إلى السادسة.**»

لمعت فكرةٌ ذكيةٌ في ذهن أليس؛ فسألته: «**ألهذا السبب يوجد الكثيرُ من أدوات الشاي هنا؟**»

تنهَّد صانعُ القبعات وقال: «**أجل، هو كذلك، إنه دائمًا وقت تناول الشاي، ولا وقت لدينا لغسل الأدوات بين كل استخدام.**»

قالت أليس: «**إذن أنتم تدورون حول المائدة طوال الوقت، على ما أعتقد.**»

قال صانعُ القبعات: «**هو كذلك بالضبط، حيث إننا نستخدم الأدوات ونستنفدها.**»

جازفت أليس وسألت: «**ولكن ماذا تفعلون عندما تعودون إلى نقطة البدايةِ مرةً أخرى؟**»

قاطعها أرنبُ مارس البريُّ، وهو يتثاءب قائلًا: «**هيا نغيِّر موضوع الحديث، لقد سئمت منه. أقترِح أن تحكي لنا الفتاة الصغيرة قصَّة.**»

قالت أليس، وهي تشعر بالقلق من هذا الطلب: «**أنا آسفة، لا أعرف ولا قصة.**»

فصاح الاثنان قائلَين: «**إذن، سيحكي لنا الزغبةُ قصة! استيقظ يا زغبة!**» ثم أخذا يقرصانه في جانبيه الاثنين في الوقت نفسه.

فتح الزغبةُ عينيه ببطءٍ، وقال بصوتٍ أجش ضعيف: «**لم أكن نائمًا، لقد سمعت كل ما قلتم يا رفاق.**»

قال أرنبُ مارس البريُّ: «**احكِ لنا قصة!**»

توسَّلت إليه أليس قائلةً: «**أجل، احكِ من فضلك!**»

وأضاف صانعُ القبعات: «**وأسرِع في حكيكَ، وإلا ستنام مجدَّدًا قبل أن تنتهي الحكاية.**»

شرعَ الزغبةُ في الحكاية على عجل: «**كان يا ما كان، كان هناك ثلاث أخوات صغيرات، كانت أسماؤهنَّ إلزي، ولايسي، وتيلي. وكُنَّ يعشن في قاعِ بئر ...**»

قالت أليس: «**وعلى ماذا كُنَّ يعشن؟**» حيث إنها كانت دومًا شديدةَ الاهتمامِ بالمسائل المتعلقة بالطعام والشراب.

قال الزغبةُ بعد أن فكَّر لدقيقةٍ أو دقيقتين: «**لقد كُنَّ يعشن على العسل الأسود.**»

علَّقت أليس بلطف: «**ولكن، لم يكن بإمكانهنَّ أن يفعلن ذلك، كما تعلم، وإلَّا لأصبحن مريضات.**»

قال الزغبة: «**بالضبط، هكذا كُنَّ، مريضات جدًّا.**»

حاولت أليس قليلًا أن تتخيَّل بينها وبين نفسها كيف يمكن أن يكون نمط حياة عجيبٍ مثل هذا، ولكنَّ الأمرَ أصابها بحيرةٍ بالغة؛ فمضت تقول: «**ولكن لماذا كُنَّ يَعِشنَ في قاع بئر؟**»

قال أرنبُ مارس البريُّ بجديةٍ بالغة: «**تناولي المزيدَ من الشاي.**»

أجابته أليس بنبرةِ استياء: «**لم أتناول أيَّ شيء بعد، وبالتالي لا يمكنني أن أتناول أكثر من اللاشيء.**»

قال صانعُ القبعات: «**تقصدين أنكِ لا يمكنك أن تتناولي أقل؛ فإنه من السهل جدًّا أن تتناولي أكثرَ من اللاشيء.**»

قالت أليس: «**لم يطلب أحدٌ رأيك.**»

قال صانعُ القبعات بنبرةِ المنتصر: «**مَن الذي يبدي تعليقاتٍ شخصيةٍ الآن؟**»

لم تعرف أليس بماذا تجيبه؛ لذلك، أعدَّت لنفسِها بعض الشاي، وبعض الخبز المدهون بالزبد، ثم التفتت إلى الزغبة، وأعادت سؤالها: «**لماذا كُنَّ يَعِشنَ في قاع بئر؟**»

أخذ الزغبة يفكِّر مجدَّدًا لمدة دقيقةً أو دقيقتين، ثم قال: «**لقد كانت بئرًا للعسل الأسود.**»

اندفعت أليس قائلةً بغضب: «**لا وجود لشيءٍ مثل هذا!**»

ولكن صانع القبعات وأرنب مارس البريُّ قالا: «**صه! اسكتي!**»

وقال الزغبةُ بغضب: «**إذا لم يكن بإمكانكِ أن تكوني مهذبةً فمن الأفضلِ أن تكملي القصة بنفسك.**»

قالت أليس بتواضعٍ شديد: «**لا، من فضلك أكمل! لن أقاطعك مرةً أخرى. ربما توجد بئرٌ واحدةٌ للعسلِ الأسود في العالم.**»

قال الزغبة بسخط: «**حقًّا، واحدة!**»

وعلى الرغم من ذلك، وافق الزغبةُ أن يكمل القصة، وقال: «**وهكذا، كما ترون، هؤلاء الأخوات الثلاثة ... كنَّ يتعلَّمن الرسم ...**»

قالت أليس ناسيةً وَعْدها: «**ماذا كُنَّ يسحبن؟**»

قال الزغبةُ بدون أيِّ تفكير هذه المرة: «**العسل الأسود.**»

قاطعهما صانعُ القبعات قائلًا: «**أريد فنجانًا نظيفًا؛ هيَّا ليتحرَّك كل منا إلى المكان المجاور له.**»

تحرَّك صانعُ القبعات وهو يتكلم، ثم تبعه الزغبة. وانتقل أرنب مارس البريُّ إلى مكان الزغبة، وانتقلت أليس على مضضٍ إلى مكان أرنبِ مارس البريِّ. كان صانعُ القبعات هو المستفيد الوحيد من هذا التغيير، وكان حال أليس أسوأ كثيرًا ممَّا كان عليه؛ حيث إن أرنبَ مارس البريَّ كان قد سكَبَ إبريقَ اللبن في طبقه.

لم ترغب أليس في مضايقةِ الزغبة مرةً أخرى؛ لذلك قالت بحرصٍ شديد: «**ولكني لا أفهم، من أين سحَبن العسل الأسود؟**»

قال صانعُ القبعات: «**يمكنكِ أن تسحبي الماءَ من بئر الماء، فأعتقد أنه بإمكانكِ سحب العسل الأسود من بئر العسل الأسودِ، أليس كذلك أيتها الغبية؟**»

قالت أليس وقد اختارت أن تتجاهل هذه الكلمة الأخيرة: «**ولكنهنَّ كنَّ بداخل البئر.**»

قال الأرنب: «**بالطبع كُنَّ ... بخيرٍ بداخله.**»

حيَّرت هذه الإجابةُ أليس المسكينة إلى درجةِ أنها تركت الزغبة يمضي في حكايته بدون مقاطعةٍ لفترةٍ طويلة.

واصل الزغبةُ حكايته، وهو يتثاءب، ويفرك عينيه؛ لأن النعاسَ كان يغالبه: «**كُنَّ يتعلمن الرسم، ورسَمْن جميع الأشياء ... كل ما يبدأ بحرف الكاف ...**»

قالت أليس: «**ولِمَ حرف الكاف؟**»

قال أرنب مارس البريُّ: «**ولِمَ لا؟**»

فسكتت أليس. وكان الزغبةُ قد أغلق عينيه في ذلك الوقت، وبدأت تأخذه غفوة، ولكن عندما قَرَصه أرنبُ مارس البريُّ استيقظ من جديد مطلقًا صرخة صغيرة، ثم تابع: «**... ما يبدأ بحرف الكاف، مثل كرسي، وكرة، وكرامة،**

وكثرة ... كما تعرفين، نحن نقول إن «الكثرة تغلب الشجاعة» هل رأيتِ من قبل رسمًا للكثرة؟»

قالت أليس وهي تشعر بحيرةٍ شديدة: «**في الحقيقة، بما أنك تسألني، أنا لا أعتقد أن ...**»

قال صانع القبعات: «**إذن يجب ألَّا تتكلمي.**»

كانت هذه وقاحةً أكبر من أن تتحمَّلها أليس؛ فنهضت واقفةً في اشمئزاز، وذهبت بعيدًا. سقط الزغبةُ نائمًا على الفور، ولم يُعِر الآخران أيَّ انتباه لانصرافها، على الرغم من أنها التفتت للخلف مرةً أو مرتين على أمل أن ينادياها. وفي المرةِ الأخيرةِ التي رأتهما فيها كانا يحاولان وضعَ الزغبة في إبريق الشاي.

قالت أليس لنفسها وهي تسير في الغابةِ: «**لن أعود إلى هناك بأي حالٍ من الأحوال! إنه أغبى حفل شاي حضرته طوال حياتي!**» وما إن قالت هذا حتى لاحظت أن في إحدى الشجراتِ بابًا يؤدي مباشرةً إلى داخلها. فكَّرت أليس: «**هذا غريبٌ جدًّا! ولكن كل الأشياء غريبةٌ اليوم. أعتقد أني يمكنني الدخول هنا في الحال.**» وبالفعل دخلت.

ووجدت نفسها في البهو الطويل مرةً أخرى، وبالقرب من الطاولة الزجاجية. قالت لنفسها: «**سأتصرف بطريقةٍ أفضل هذه المرة**»، وبدأت بأخذ المفتاح الذهبيِّ الصغير، وفتح الباب المؤدي إلى الحديقة الجميلة. ثم بدأت تقضَم من الفطرِ (الذي احتفظت بقطعةٍ منه في جيبها) حتى صار طولها حوالي ثلاثين سنتيمترًا، ثم عبرت الممرَّ الصغير، ووجدت نفسها أخيرًا في الحديقة الجميلة، وسط أحواضِ الورود الزاهية، ونوافير المياه الباردة المنعشة.



الفصل الثامن

ملعب الكروكيت الخاص بالملكة

بالقرب من مدخل الحديقة، قامت شجرةُ ورد كبيرة، تنمو عليها ورودٌ بيضاء، لكن كان هناك ثلاثة بستانيِّين حول الشجرة منهمكون في طلاءِ ورودها باللون الأحمر. رأت أليس أن هذا شيءٌ غريبٌ، واقتربت كي تشاهدهم، وما إن وصلت إليهم حتى سمعت أحدهم يقول: «**انتبه إذن يا رقم خمسة! لا ترش عليَّ الطلاء هكذا!**»

قال رقمُ خمسة بعبوس: «**لم أفعل ذلك عمدًا؛ فرقمُ سبعة هو من دفع كوعي.**»

وعند سماع ذلك، رفع رقمُ سبعة نظره إليهما وقال: «**كعادتك يا رقمَ خمسة! تلقي باللوم دومًا على الآخرين!**»

قال رقمُ خمسة: «**من الأفضل ألَّا تتكلم أنت! لقد سمعت الملكةَ البارحة فقط وهي تقول إنك تستحق أن يُقطع رأسك!**»

قال الذي قد تكلم أولًا: «**لأيِّ سبب؟**»

قال رقمُ سبعة: «**هذا ليس من شأنك يا رقم اثنين!**»

قال رقمُ خمسة: «**بلى، إنه من شأنه، وسوف أخبره … السببُ هو أن رقمَ سبعة قد أحضر للطاهية جذور زهر التيوليب بدلًا من البصل.**»

ألقى رقمُ سبعة ريشته على الأرض، وبدأ يقول: «**إن هذا ظلمٌ بيِّن …**» وعندها وقعت عيناه بالصدفة على أليس وهي تراقبهم، فتوقف عن الكلامِ فجأة، والتفت لها الآخران أيضًا، ثم انحنى جميعهم احترامًا.

قالت أليس بشيءٍ من الخجل: «**هلَّا أخبرتموني من فضلكم لماذا تطلون هذه الورود؟**» لم ينطق رقمُ خمسة ولا رقمُ سبعة بشيء، ولكنهما نظرا إلى رقم اثنين. قال رقمُ اثنين بصوتٍ منخفض: «**في الحقيقة، كما ترين يا آنسة، كان على هذه الشجرة هنا أن تكون شجرة ورد أحمر، ولكننا وضعنا شجرة ورد أبيض بطريق الخطأ، وإذا اكتشفت الملكة**

هذا الأمر فسوف تأمر بقطع رءوسنا جميعًا. ولذلك، كما ترين يا آنسة، نحن نبذل أقصى ما في وسعنا قبل أن تأتي كي ...» وفي هذه اللحظة، صاح رقمُ خمسة الذي كان ينظر إلى الجانب الآخر من الحديقة بقلق: «**الملكة! الملكة!**» وانبطح البستانيُّون الثلاثة على الأرض في الحال. وكان هناك وَقْعُ أقدام كثيرة، فالتفتت أليس متشوقةً لرؤية الملكة.

في البداية، أتى عشرةُ جنود يحملون المضارب، وكانوا يشبهون البستانيِّين الثلاثة: مستطيلين ومُسَطَّحين، وتمتد أيديهم وأرجلهم عند الزوايا. ثم أتى عشرةٌ من رجال الحاشية؛ تزيِّنهم أحجار الماس بأكملهم، ويمشون مثنى مثنى، كما كان يمشي الجنود. وبعد أولئك، أتى الأطفال الملكيُّون؛ وكان عددهم عشرة، وقد جاء هؤلاء الصغار الأحباء يتقافزون بمرحٍ يدًا بيدٍ في أزواج، وكانوا جميعًا مُزيَّنين بالقلوب الحمراء. وبعد ذلك، جاء الضيوف، وكان معظمهم ملوكًا وملكات، ومن بينهم تعرَّفت أليس على الأرنب الأبيض؛ كان يمشي مُسرعًا قلقًا، ويبتسم لكل ما يُقال، ومر بالقرب منها دون أن يلحظ وجودها. ثمَّ تبعهم شابُّ القلب الأحمر، حاملًا تاج الملك على وسادةٍ من

القطيفة القرمزية. وفي آخر هذا الموكب العظيم جاء ملك وملكة القلب الأحمر.

راود أليس الشكُّ فيما إذا كان ينبغي عليها أن تنبطح على وجهها مثل البستانيين الثلاثة، ولكنها لم تستطع تذكُّر أنها سمعت من قبل عن مثل هذه القاعدة عند مرور المواكب. وفكَّرت بينها وبين نفسها: «**وبالإضافة إلى ذلك، ما الفائدة من المواكب إذن إذا كان على الناسِ أن ينبطحوا على وجوههم بحيث لا يرونها؟**» وهكذا، وقفت حيث كانت وانتظرت.

وعندما وصل الموكب أمام أليس، توقفوا جميعًا، ونظروا إليها. قالت الملكة بِحِدة: «**من هذه؟**» قالتها وهي توجِّه كلامها لشابِّ القلب الأحمر الذي اكتفى بالانحناء والابتسامِ ردًّا عليها. قالت الملكة وهي تهزُّ رأسها بنفادِ صبر: «**أبلَه!**» ثم التفتت إلى أليس وقالت: «**ما اسمكِ أيتها الطفلة؟**» قالت أليس بأدبٍ شديد: «**اسمي أليس يا صاحبة الجلالة**»، ولكنها أضافت مُحدِّثةً نفسها: «**رباه، إنهم في النهاية مجرد مجموعة من ورق اللعب، لا داعي لأن أخاف منهم!**»

قالت الملكة وهي تشير إلى البستانيين الثلاثة المُستلقين حول شجرة الورد: «**ومن هؤلاء؟**» لأنهم كما تعلم كانوا

مستلقين على وجوههم، وكان النقش الذي على ظهورهم مطابقًا للذي على ظهور باقي المجموعة؛ فلم تستطع أن تحدد ما إذا كانوا بستانيين، أم جنودًا، أم من رجال الحاشية، أم ثلاثة من أطفالها.

قالت أليس التي قد أدهشتها شجاعتها: «**كيف لي أن أعرف؟ هذا ليس من شأني.**»

احمرَّ وجه الملكة من شدة الغضب، وبعد أن حدَّقت في أليس للحظةٍ مثل وحشٍ بريٍّ، أخذت تصرخ: «**اقطعوا رأسها! اقطعوا ...**»

فقالت أليس بصوتٍ عالٍ جدًّا وبنبرةٍ لا تقبلُ الشك: «**هذا هراء!**» وسكتت الملكة تمامًا.

وضع الملك يده على ذراع الملكة وقال بخجل: «**اهدئي يا عزيزتي؛ إنها مجرد طفلة!**»

ابتعدت الملكة عنه غاضبةً، وقالت للشاب: «**اقلبهم على ظهورهم!**» فقَلَبهم الولد بإحدى قدميه بحرصٍ شديد.

قالت الملكة بصوتٍ عالٍ حاد: «**انهضوا!**» فقفز البستانيون الثلاثة على الفور، وشرعوا في الانحناء للملك، والملكة، والأطفال الملكية، ولجميع من كان في الموكب.

صرخت الملكة قائلةً: «**كفُّوا عن هذا! إنكم تسببون لي الدوار!**» ثم واصلت كلامها وهي تلفت نحو شجرة الورد: «**ماذا كنتم تفعلون هنا؟**»

قال رقمُ اثنين بتواضعٍ شديد، وهو يركع على إحدى ركبتيه: «**عفوكِ يا صاحبة الجلالة، كنا نحاول ...**»

قالت الملكة التي كانت قد تفحصت الورود في ذلك الوقت: «**فهمتُ! اقطعوا رءوسهم!**»

وتقدم الموكب، وبقي ثلاثة جنود لإعدام البستانيين الثلاثة التعساء الذين هرعوا إلى أليس طالبين الحماية.

قالت أليس: «**لن تُقطع رءوسُكم!**» ووضعتهم داخل مزهريةٍ كبيرةٍ كانت بجوارها. تجوَّل الجنود الثلاثة لمدة دقيقةٍ أو دقيقتين باحثين عن البستانيين الثلاثة، ثم ساروا بهدوءٍ خلف الآخرين.

صاحت الملكة: «**هل قُطعت رءوسُهم؟**»

صاحَ الجنودُ وهم يجيبونها: «**لقد اختفت رءوسهم إرضاءً لرغبتك يا صاحبة الجلالة.**»

صاحت الملكة: «**عظيم! هل يمكنكِ لعب الكروكيت؟**»

سكت الجنودُ ونظروا إلى أليس؛ حيث إنه كان من الواضح أنها المقصودةُ بهذا السؤال.

صاحت أليس: «**نعم.**»

قالت الملكة بصوتٍ يشبه الزئير: «**تعالَي إذن!**» وانضمَّت أليس إلى الموكب تراودُها تساؤلاتٌ عديدة عمَّا سيحدث بعد ذلك.

جاء صوتٌ خجولٌ بالقرب منها يقول: «**إنه ... إنه يومٌ جميلٌ جدًّا!**» لقد كانت تسيرُ بجوار الأرنب الأبيض الذي كان يختلس النظر إلى وجهها بقلق. قالت أليس: «**جدًّا ... أين الدوقة؟**»

قال الأرنب مسرعًا بصوتٍ منخفض: «**صه! صه!**» وكان ينظر خلفه بقلقٍ وهو يتكلم، ثم وقف على أطراف أصابعه، وقرَّب فمه من أذن أليس، وهمس: «**لقد حُكم عليها بالإعدام.**»

قالت أليس: «**لأيِّ سبب؟**»

سأل الأرنب: «**هل قلتِ «يا للأسف؟»**»

قالت أليس: «**لا، لم أقُل، لا أعتقد أنه أمرٌ مؤسف على الإطلاق. بل قلتُ «لأي سبب؟»**»

بدأ الأرنب يقول: «**لقد صفعت الملكةَ على أذنيها ...**»

أطلقت أليس صيحةً ضاحكةً صغيرة؛ فهمس الأرنب بنبرةٍ خائفة: «**رباَّه! صه! سوف تسمعكِ الملكة! تعرفين أن الدوقة جاءت متأخرةً بعضَ الشيء، وقالت لها الملكة ...**»

صاحت الملكة بصوتٍ يشبه الرعد: «**خذوا أماكنكم!**» وشرَع الناس يركضون في كل الاتجاهات، ويصطدم بعضهم ببعض، ولكنهم استقروا في أماكنهم بعد دقيقةٍ أو دقيقتين، وبدأت اللعبة. لم يسبق لأليس أن رأت ملعب كروكيت بهذه الغرابة؛ لقد كان مليئًا بالمرتفعات والحُفَر، وأما الكُراتُ فكانت قنافذ حيَّة، وأما المضاربُ فكانت طيور الفلامنجو الحيَّة، وكان على الجنود أن ينثنوا على أنفسهم ويقفوا على أيديهم وأرجلهم كي يُشكِّلوا الأقواس.

وكانت الصعوبة الكبرى التي وجدتها أليس في البداية هي كيفية التحكم في طائر الفلامنجو الخاص بها؛ لقد نجحت

في أن تضع جسده تحت ذراعها، وأرجله تتدلى لأسفل في وضعٍ مريح بما يكفي. ولكن، في الوقت الذي نجحت فيه أن تجعل عنقه مستقيمًا، وكانت على وشك أن توجه ضربةً للقنفذ برأس الطائر، التفت إليها، ونظر إلى وجهها وعلى وجهه علاماتُ الحيرة التي جعلت أليس عاجزةً عن تمالك نفسها فانفجرت ضاحكةً؛ وعندما أعادت رأسه للأسفل، وكانت على وشك أن تبدأ اللعب مجددًا، أثار غيظها بشدة أن وجدت القنفذ قد فكَّ نفسه وبدأ يزحف بعيدًا.

وعلاوة على هذا كله، كانت دائمًا ما تجد مرتفعًا أو حفرةً أينما أرادت توجيه القنفذ. وحيث إن الجنود المنحنين لم يكفُّوا عن النهوض والذهاب إلى أماكن أخرى من الملعب سرعان ما استنتجت أليس أنها كانت لعبةً شديدة الصعوبة حقًّا. كان اللاعبون يلعبون جميعًا في وقتٍ واحد، دون أن ينتظر كل لاعبٍ دوره، وكانوا يتشاجرون طوال الوقت، ويتقاتلون من أجل القنافذ. وبمرور وقت قصير، انفعلت الملكةُ غضبًا، وأخذت تدبُّ الأرض بقدميها، وتصرخ بين دقيقةٍ وأخرى: «**اقطعوا رأسه!**» أو «**اقطعوا رأسها!**»

بدأت أليس تشعر بعدم الارتياح؛ صحيحٌ أنها لم تخُض أيَّ نزاعٍ مع الملكة بعد، ولكنها كانت تعلم أن هذا قد يحدث

في أيِّ لحظة، وفكَّرت أليس: «**وحينئذٍ، ماذا سيحدث لي؟ إنهم هنا مغرمون غرامًا مُرعبًا بقطع رءوس الناس. فالعجبُ هو أن بعضهم قد بقي على قيد الحياة!**»

كانت أليس تبحث عن سبيل للهروب، وتتساءل عما إذا كان بإمكانها أن تهرب من دون أن يراها أحد، حين لاحظت ظهور شيءٍ غريبٍ في السماء. في البداية، أصابها الأمر بحيرةٍ شديدة، ولكن بعد أن راقبته لمدةِ دقيقةٍ أو دقيقتين اكتشفت أنه ابتسامة، وقالت لنفسها: «**إنه قط الشيشاير؛ الآن لديَّ شخص أتحدث معه.**»

قال القط، بمجرد أن ظهر من فمه ما يكفي للتحدث به: «**كيف حالكِ؟**» انتظرت أليس حتى ظهرت عيناه، ثم أومأت إليه برأسها. فكَّرت أليس: «**إنه لا جدوى من التحدث إليه حتى تظهر أذناه، أو على الأقل واحدة منهما.**» وبعد مرور دقيقةٍ أخرى ظهر الرأس بأكمله، ثم وضعت أليس طائر الفلامنجو الخاص بها على الأرض، وبدأت تقدِّم تقريرًا عن مباراة الكروكيت وهي تشعر بسعادةٍ غامرة لوجود شخص يستمع إليها. أما القط فبدا أنه اعتقد أن جزءًا كافيًا منه قد ظهر للعِيان، فلم يظهر المزيد منه.

بدأت أليس حديثها، بنبرةٍ تنمُّ عن الشكوى: «**لا أعتقد أنهم يلعبون بنزاهةٍ على الإطلاق، وجميعهم يتشاجرون بعنف؛ حتى إن الواحد منهم لا يستطيع سماع نفسه وهو يتكلم ... وعلى وجه التحديد، لا يبدو أن لديهم أيَّ قواعد؛ على الأقل، لو كان هناك قواعد، فلا أحد يهتم بها ... وليس لديك أيُّ فكرة كم هو مربكٌ أن تكون كل أدوات اللعبة حيَّة. فمثلًا، ها هو القوس الذي عليَّ أن أمرر الكرة من خلاله يتجوَّل في الطرف الآخر من الملعب ... وكان عليَّ الآن أن أوجِّه ضربةً لقنفذ الملكة، ولكنه هربَ بعيدًا عندما رأى قنفذي قادمًا!**»

قال القط بصوتٍ منخفض: «**هل أحببتِ الملكة؟**»

قالت أليس: «**لا على الإطلاق، إنها من ...**» وحينها لاحظت أن الملكة كانت بالقرب منها وتستمع إليها؛ فمضت تقول: «**... المحتمل جدًّا أن تفوز، حتى إن الأمر لا يستحق أن نُكمل اللعبة.**»

ابتسمت الملكة، ومضت.

قال الملك لأليس وهو يتَّجه إليها وينظر إلى رأس القط بفضولٍ شديد: «**مع من تتحدثين؟**»

قالت أليس: «**إنه صديقٌ من أصدقائي ... قط شيشاير، اسمح لي أن أُقدمه لك**»

قال الملك: «**لا يعجبني مظهره على الإطلاق، ولكن على أيِّ حال، يُمكنه تقبيل يدي إن شاء.**»

علَّق القط: «**أُفضِّل ألَّا أفعل ذلك.**»

قال الملك وهو يتَّخذ مكانه خلف أليس: «**لا تكن وقحًا، ولا تنظر إليَّ هكذا!**»

قالت أليس: «**يُمكن للقط أن ينظر إلى الملك، لقد قرأت هذا في كتابٍ ما، ولكني لا أتذكر أين.**»

قال الملك بنبرةٍ حاسمة: «**يجب أن نزيله**»، ونادى الملكةَ التي كانت تمرُّ بجانبهم في تلك اللحظة: «**يا عزيزتي! أتمنى أن تأمري بإزالة هذا القط!**»

لم يكن لدى الملكة سوى طريقةٍ واحدة لحل كل الصعوبات، كبيرة كانت أم صغيرة. قالت بدون حتى أن تلتفت: «**اقطعوا رأسه!**»

قال الملك بحماس: «**سأذهب وأحضر السيَّاف بنفسي**»، ثم هرع مسرعًا.

ورأت أليس أنه من الأفضل أن تعود وترى كيف تسير اللعبة؛ حيث إنها سمعت صوت الملكة يأتي من بعيد وهي تصرخ بغضب. لقد سبق أن سمعتها وهي تأمر بإعدام ثلاثة لاعبين لأنهم فوَّتوا أدوارهم في اللعب. ولم يعجب أليس ما آلت إليه الأمور على الإطلاق؛ حيث إن اللعبة كانت قد وصلت إلى حالةٍ من الالتباس والفوضى إلى درجة أنها لم تعرف إذا كان هذا الدور هو دورها أم لا. وهكذا، ذهبت كي تبحث عن قنفذها.

كان القنفذ في شجارٍ مع قنفذ آخر، وهو ما بدا لأليس فرصةً ممتازة لضرب أحدهما بالآخر ضربةَ كروكيت؛ وكانت المشكلة الوحيدة أن طائرها كان قد عبر إلى الطرف الآخر من الحديقة حيث كانت تراه يُحاول محاولاتٍ بائسة أن يطير كي يصعد فوق شجرة.

وبحلول الوقت الذي أمسكت فيه أليس بطائر الفلامنجو وأعادته مرةً أخرى، كان الشجار قد انتهى، واختفى كلا القنفذين عن الأنظار. فكَّرت أليس: «**ولكن هذا لا يهمُّ كثيرًا، فقد رحلت جميع الأقواس من هذا الجانب من الحديقة.**» وهكذا، وضعت طائرها تحت ذراعها بحيث

لا يمكنه الهروب مرةً أخرى، وعادت كي تحظى بمحادثةٍ صغيرةٍ مع صديقها.

وعندما عادت أليس إلى قط الشيشاير، اندهشت عندما وجدت حشدًا كبيرًا متجمعًا حوله؛ وكان هناك نزاعٌ قائمٌ بين السيَّاف والملك والملكة، وكان الثلاثة يتحدَّثون في الوقت نفسه، بينما كان البقية صامتين تمامًا يبدو عليهم عدم الارتياح. وفي اللحظة التي ظهرت فيها أليس، أخذ الثلاثة يناشدونها كي تسوِّي النزاع، وقد أعادوا على مسامعها حُجَجَهم، وعلى الرغم من ذلك، كان من الصعب عليها أن تفهم ما يقولونه بالضبط؛ حيث إنهم جميعًا كانوا يتحدثون في وقتٍ واحد.

كانت حجة السيَّاف أنه لا يمكنك أن تقطع رأسًا إلا إذا كان هناك جسدٌ ليُقطع منه؛ وأنه لم يسبق له أن فعل شيئًا مثل هذا، وأنه لن يقوم بذلك في هذا الوقت من حياته. وكانت حجة الملك أن كل شيءٍ له رأس يُمكن أن يُقطع رأسه، وأنه لا ينبغي أن يتحدث السيَّاف بكلامٍ فارغ.

وكانت حجة الملكة أنه إذا لم يتم اتخاذ قرار في هذا الشأن في لمح البصر فسوف تأمر بقطع رءوس جميع من

حولها. (وكان هذا التعليق الأخير هو ما جعل الحشد بأكمله يبدو عليه الوجوم والقلق).

لم تستطع أليس التفكير في شيءٍ لتقوله عدا «**إن القطَّ مِلكُ الدوقة؛ من الأفضل أن تسألوها هي.**»

قالت الملكة للسيَّاف: «**إنها في السجن، اذهب وأحضرها إلى هنا**»، فانطلق السيَّاف كالسهم.

وبدأ وجه القط يتلاشى في اللحظة التي رحل فيها السيَّاف، وقبل أن يعود ومعه الدوقة كان الوجه قد اختفى تمامًا؛ فانطلق الملك والسيَّاف يركضان مثل المجانين في كل مكانٍ باحثين عنه، بينما عاد باقي الحشد إلى استكمال اللعبة.



الفصل التاسع

قصة السلحف المُزيَّف

قالت الدوقة، وهي تتأبَّطُ ذراع أليس بود: «**أنتِ لا تتصوَّرين كم أنا سعيدة لرؤيتكِ مجدَّدًا يا عزيزتي!**» ثم ابتعدتا سويًّا. وكانت أليس مسرورةً جدًّا أنها وجدتها بهذا المزاج الرائق، وفكَّرت في نفسها أنه ربما كان الفلفل هو ما جعلها بذلك التوحُّش عندما التقت بها في المطبخ. قالت أليس لنفسها (ولكن بنبرةٍ لا يغمرها الكثير من التفاؤل): «**عندما أصبح دوقة، لن يكون لديَّ فلفلٌ في مطبخي مُطلقًا. إن طعم الحساء بدونه جيِّدٌ جدًّا ... ربما يكون الفلفل هو ما يجعل الناس سريعي الغضب**»، وواصلت وهي فرحةٌ جدًّا لأنها اكتشفت قاعدةً جديدة: «**والخلُّ هو ما يجعلهم وقحين ... والكاموميل هو ما يجعلهم أفظاظ ... وحلوى السكر وأمثالها**

فقط هو ما يجعل مزاج الأطفال رائقًا. يا ليت الناس تعرف هذا؛ حينها لن يبخلوا علينا بها.»

وفي ذلك الوقت كانت أليس قد نسيت وجود الدوقة تمامًا، فاندهشت قليلًا عندما سمعت صوتها بالقرب من أذنها وهي تقول: «**إنكِ تفكِّرين في أمرٍ ما يا عزيزتي؛ وهذا يجعلكِ تنسين أن تتكلمي. لا يمكنني أن أخبركِ الآن ما العبرةُ في ذلك، ولكني سأتذكَّر خلال لحظات.**»

غامرت أليس وعلَّقت قائلةً: «**ربما لا توجد عبرةٌ في هذا الأمر.**»

قالت الدوقة: «**كلَّا كلَّا يا طفلتي! في كل شيء عبرة؛ عليكِ فقط أن تجديها.**» والتصقت بجانب أليس وهي تتكلم.

لم تحب أليس اقتراب الدوقة منها بهذا القدر؛ أولًا لأنها كانت قبيحةً جدًّا، وثانيًا لأنها كانت بالطولِ المناسب كي تضع ذقنها على كتف أليس، وكان ذقنها مُسنَّنًا على نحوٍ غير مريح. ولكن أليس لم ترغب في أن تكونَ فظَّة؛ فتحمَّلتها بقدر ما استطاعت.

قالت أليس كي تواصل الحوار قليلًا: «**إن اللعبة تسير الآن على نحوٍ أفضل.**»

قالت الدوقة: «صحيح، والعبرةُ في ذلك هي ... «**آه، إنه الحب، إنه الحب الذي يجعل العالم يدور!**»»

همست أليس: «**أحدٌ ما قال إنَّ هذا يحدث حين يهتمُ كلُّ امرئٍ بما يعنيه فقط!**»

قالت الدوقة: «**آه! إن ذلك يعني الشيء نفسه تقريبًا**»، وأضافت وهي تغرس ذقنها الصغير المُسنَّن في كتف أليس: «**والعبرة في هذا هي «اهتم بالمعنى، والألفاظ ستهتم بنفسها!**»»

فكَّرت أليس بينها وبين نفسها: «**كم هي مغرمة باستخلاص العِبَر من كل شيء!**»

قالت الدوقة بعد توقف: «**أظنُّ أنكِ تتساءلين لِمَ لا أضع ذراعي حول خصرك، السبب هو أنني أشكُّ في مزاج طائر الفلامنجو الذي تحملينه. هل أُقدِم على هذه التجربة؟**»

أجابت أليس بحذر: «**من الممكن أن يعَضّ**»، وهي لا تشعر بأي رغبةٍ في القيام بالتجربة.

قالت الدوقة: «**صحيحٌ جدًّا، فطيور الفلامنجو والمسطردة كلاهما يعضُّ. والعبرة في ذلك هي ... «الطيور على أشكالها تقع**».»

علَّقت أليس: «**لكن المسطردة ليست من الطيور.**»

قال الدوقة: «**صحيحٌ كالعادة، يا لها من طريقةٍ واضحةٍ تلك التي تصوغين بها الأمور!**»

قالت أليس: «**أعتقد أنه معدن.**»

قالت الدوقة التي بدت على استعدادٍ أن توافق على كل ما تقوله أليس: «**هو كذلك بالطبع، يوجد منجم مسطردة كبير بالقرب من هنا. والعبرةُ من هذا هي ...» كلَّما زاد ما هو ملكي نقص ما هو ملكك.**»

لم تستمع أليس إلى هذا التعليق الأخير، وهتفت: «**آه، عرفت! إنها من الخضراوات. هي لا تشبه الخضراوات ولكنها خضرة.**»

قالت الدوقة: «**أتفقُ معكِ تمامًا، والعبرةُ في هذا هي ... «كن كما تبدو» أو إذا أحببتِ صياغتها بعبارةٍ أبسط ... «لا تتخيَّل نفسك أبدًا ألَّا تكون بخلافِ ما قد يبدو للآخرين أنَّ ما كنت عليه أو ما كان من الممكن أن تكون عليه لم يكن غير ما كنت لتبدو عليه غير ما يمكن أن تبدو عليه لهم».**»

قالت أليس بأدبٍ شديد: «**أعتقدُ أني سأفهم ذلك فهمًا أفضل إذا رأيتُه مكتوبًا، ولكنِّي أعجز تمامًا عن متابعته وأنت تقولينه.**»

أجابت الدوقة بسرور: «**هذا لا يُعَدُّ شيئًا بالمقارنة بما أستطيع قوله إذا أردت.**»

قالت أليس: «**بربِّكِ لا تتعبي نفسكِ وتصوغيه بحديثٍ أطول من ذلك.**» قالت الدوقة: «**آه، لا تتحدثي عن التعب! إنني أهديكِ كل شيءٍ قلته حتى الآن.**»

فكَّرت أليس بينها وبين نفسها: «**يا له من نوعٍ رخيصٍ من الهدايا! أنا سعيدةٌ أنهم لا يقدِّمون هدايا مثل هذه في أعياد الميلاد!**» ولكنها لم تغامر بقول هذا بصوتٍ عالٍ.

سألت الدوقة، وهي تغرس ذقنها الصغير المُسنَّن في كتف أليس مرةً أخرى: «**هل عدتِ للتفكير مجدَّدًا؟**»

ولأن أليس شعرت بالقلق قليلًا قالت بحدة: «**من حقي أن أفكِّر!**»

قالت الدوقة: «**إنه من حقِّكِ تقريبًا بقدر ما للخنازير من حقٍّ أن تطير، والعـ ...**»

ولكن هنا، اشتدَّت دهشة أليس عندما اختفى صوت الدوقة عند منتصف الكلمة المفضلة لديها «العبرة»، وأما الذراع التي كانت تتأبَّط ذراع أليس بدأت ترتجف. نظرت

أليس لأعلى فوجدت الملكة تقف أمامهما، معقودةَ الذراعين، عابسةً مثل عاصفةٍ رعديةٍ.

بدأت الدوقة تقول بصوتٍ منخفضٍ واهن: «**يومٌ جميلٌ يا صاحبة الجلالة!**»

صاحت الملكة وهي تدبُّ على الأرض بقدميها: «**والآن، أحذِّركِ بكل صدق، إما أن تذهبي أنتِ أو أن يذهب رأسكِ، وهذا في أقل من لمح البصر! خذي قراركِ!**»

أخذت الدوقة قرارها، واختفت في لحظة.

قالت الملكة لأليس: «**هيَّا لنستكمل اللعبة**»، فانتاب أليس خوفٌ شديدٌ منعها من أن تنطق بكلمة، وتَبِعت الملكة ببطءٍ عائدةً إلى ملعب الكروكيت.

وكان بقيةُ الضيوف قد استغلُّوا غياب الملكة واستراحوا في الظلِّ، ولكن بمجرد أن رأوها هرعوا عائدين إلى المباراة، وكانت الملكة قد اكتفت بالتعليق بأن أدنى تأخير سوف يكلِّفهم حياتهم.

طوال الوقت الذي استمرَّ فيه اللعب، لم تكفَّ الملكة عن العراك مع غيرها من اللاعبين، ولا عن الصياح:

«**اقطعوا رأسه!**» أو «**اقطعوا رأسها!**» وكان الجنود يحتجزون أولئك المحكوم عليهم بالإعدام؛ واضطر الجنود كي يفعلوا ذلك أن يتخلُّوا عن القيام بدور الأقواس، وهكذا، بعد مرورِ نصف ساعةٍ تقريبًا، كان الملعب قد خلا تمامًا من الأقواس، وكان جميع اللاعبين، عدا الملك والملكة وأليس، في الحجز ومحكومًا عليهم بالإعدام.

وبعد ذلك، توقَّفت الملكةُ عن اللعب بعد أن كادت أنفاسها أن تنقطع، وقالت لأليس: «**هل رأيتِ السلحف المُزيَّف بعد؟**»

قالت أليس: «**لا، بل أنا لا أعرف حتى ما هو السلحف المُزيَّف.**»

قالت الملكة: «**إنه الشيء الذي يُصنع منه حساء السلحف المُزيَّف.**»

قالت أليس: «**لم يسبق لي أن رأيته أو سمعت عنه.**»

قالت الملكة: «**تعالَي إذن، وهو سيحكي لكِ قصته.**»

وبينما كانتا تبتعدان معًا، سمعت أليس الملكَ وهو يقول لجميع المُحتجَزين بصوتٍ منخفض: «**لقد عفونا عنكم جميعًا.**»

قالت أليس لنفسها: «**هذا شيءٌ جيد!**»؛ حيث إنها كانت تشعر بتعاسةٍ بالغةٍ بسبب كثرة أحكام الإعدام التي أمرت الملكة بتنفيذها.

وسرعان ما أتيا على حيوان الجريفن وهو يرقد مستغرقًا في النوم تحت أشعة الشمس. (إذا كنت لا تعرف ما هو الجريفن فانظر إلى الصورة). قالت الملكة: «**انهض أيها الكسول! وخُذ هذه الفتاة الصغيرة كي ترى السلحفَ المُزيَّفَ وتسمع حكايته. يجب أن أعود، وأشاهد بعض أحكام الإعدام التي أمرتُ بتنفيذها**»، ثم انطلقت تاركةً أليس بمفردها مع الجريفن. لم يعجب أليس شكل هذا الكائن، ولكنها كانت تظنُّ أن البقاء معه آمنٌ بنفس قدرِ الأمان الذي سيكون في ذهابها خلف هذه الملكة المتوحشة؛ فانتظرت.

نهض الجريفن، وفرك عينيه، ثم راقب الملكة حتى اختفت عن الأنظار، ثم ضحك ضحكةً مكتومة. قال الجريفن موجهًا كلامه لنفسه ولأليس: «**يا لها من تسلية!**»

قالت أليس: «**ما هي التسلية؟**»

قال الجريفن: «**هي، كل ذلك من صنع خيالها؛ إنهم لا يعدمون أحدًا كما تعرفين. هيَّا تعالَي!**»

فكَّرت أليس وهي تسير خلفه ببطء: «**جميعهم هنا يقولون «هيَّا تعالَي»، لم يسبق أن وجَّه لي أحدٌ هذا القدر من الأوامر طوال حياتي، أبدًا!**»

لم يبتعدا كثيرًا حتى رَأَيا السلحف المُزيَّف من بعيد، يجلس حزينًا ووحيدًا على حافة صخرة، وبينما كانا يقتربان منه سمعته أليس يتنهَّد كما لو كان قلبه سينفطر. أشفقت أليس عليه بشدة، وسألت الجريفن: «**ما السبب في حزنه؟**»

أجاب الجريفن تقريبًا بنفس الكلمات التي قالها من قبل: «**كلُّ ذلك من صنع خياله؛ ليس هناك سببٌ لحزنه، كما تعرفين. هيَّا تعالي!**»

وهكذا صعدا إلى السلحف المُزيَّف الذي كان ينظر إليهما بعينين كبيرتين مليئتين بالدموع، ولكنه لم يقل شيئًا.

قال الجريفن: «**إن هذه الفتاة الصغيرة تريد أن تعرف قصتك.**»

قال السلحف المُزيَّف بصوتٍ عميقٍ أجوف: «**سأحكيها لها، اجلسا أنتما الاثنان، ولا تنطقا بكلمة حتى أنتهي.**»

وهكذا جلسا، ولم يتكلَّم أحدٌ لِبِضْع دقائق. فكَّرت أليس في نفسها: «**لا أرى كيف يمكنه أن ينتهي إذا هو لم يبدأ**»، ولكنها انتظرت بصبر. قال السلحف المُزيَّف أخيرًا وهو يتنهَّد بعمق: «**فيما مضى كنتُ سلحفًا حقيقيًّا.**»

وتَبِعَ هذه الكلمات صمتٌ طويلٌ جدًّا لم يقطعه سوى صيحاتِ «**هجكرر!**» التي كان يصدرها الجريفن من حينٍ لآخر، ونحيبِ السلحف المُزيَّف الذي لا ينقطع. كانت أليس قد أوشكت أن تنهض وتقول: «**شكرًا لك يا سيدي على قصتك المشوِّقة**»، ولكنها لم تستطع منع نفسها من التفكير أن هناك تكملةً للحكاية بالتأكيد، ولذلك ظلَّت في مكانها ولم تقل شيئًا.

في النهاية، واصل السلحف المُزيَّف حكايته، بصوتٍ أكثر هدوءًا ولكن يتخلَّله نحيبٌ ضعيفٌ من حينٍ لآخر: «**عندما كنَّا صغارًا، كنا نذهب إلى المدرسة في البحر. كان مُعلِّمنا سلحفًا مائيًّا عجوزًا، كنا نسمِّيه السلحف البريَّ ...**»

سألته أليس: «**لماذا كنتم تسمُّونه السلحف البريَّ إذا لم يكن سلحفًا بريًّا؟**»

قال السلحف المُزيَّف بغضب: «**كنا نسمِّيه السلحف البريَّ لأنه كان مُعلِّمنا الذكيَّ، إنكِ حقًّا بليدةٌ جدًّا!**»

أضاف الجريفن: «**عليكِ أن تخجلي من نفسكِ لأنكِ سألتِ مثلَ هذا السؤال السهل**»، ثم جلسا صامتَين، ونظرا إلى أليس المسكينة التي تمنَّت أن تنشقَّ الأرض وتبتلعها.

وأخيرًا قال الجريفن للسلحف المُزيَّف: «**هيَّا أكمل يا رفيقي العزيز! ولا تضيِّع اليوم بأكمله في هذا!**» فتابع السلحف المُزيَّف حكايته بهذه الكلمات: «**نعم، كنا نذهب إلى المدرسة في البحر، برغم أنكِ قد لا تصدَّقين هذا ...**»

قاطعته أليس: «**لم أقُل أبدًا إني لا أُصدِّق!**»

قال السلحف المُزيَّف: «**بل قلتِ.**»

أضاف الجريفن قبل أن تتمكَّن أليس من التحدُّث مجدَّدًا: «**أمسكي لسانكِ!**»

واصل السلحف المُزيَّف حكايته: «**لقد تلقَّينا أفضلَ تعليم ... في الحقيقة، كنا نذهب إلى المدرسة نهار كلِّ يوم ...**»

قالت أليس: «**أنا أيضًا كنتُ أذهب إلى المدرسة نهار كلِّ يوم؛ لا داعي لأن تكون فخورًا بكل هذا القدر.**»

سألها السلحف بشيءٍ من القلق: **«من المدارس التي توفِّر موادَّ اختيارية إضافية؟»**

قالت أليس: **«أجل، كنَّا نتعلم اللغة الفرنسية والموسيقى.»**

قالت السلحف المُزيَّف: **«والغسيل؟»**

قالت أليس بغضب: **«بالتأكيد لا!»**

قال السلحف المُزيَّف بنبرةٍ تنمُّ عن ارتياحٍ كبير: **«آه! إذن لم تكن حقًّا مدرسةً جيدة، ففي مدرستنا كانوا يكتبون في نهاية فاتورة المصاريف «الإضافات: اللغة الفرنسية، الموسيقى، والغسيل».»**

قالت أليس: **«بالتأكيد لم تكن في حاجةٍ إليه؛ ما دمتَ تعيش في قاع البحر.»**

قال السلحف المُزيَّف وهو يتنهَّد: **«لم أستطع أن أتحمَّل مصاريف تعلُّمه، لم أتلقَّ إلا المقرر الأساسي.»**

تساءلت أليس: **«وماذا كان؟»**

أجاب السلحف المُزيَّف: **«مبدئيًّا بالتأكيد القرابة والرتابة، ثم فروع الحساب المختلفة: الدمْع، والفَرْح، والدَّرب، والنِّسمة، بالإضافة إلى التَّقبيح.»**

جازفت أليس وقالت: «**لم أسمع عن «التَّقبيح» قَطُّ، ما هو؟**»

رفع الجريفن جناحَيه الاثنين تعبيرًا عن الدهشة، وهتف بتعجب: «**لم تسمعي أبدًا عن التَّقبيح! أعتقد أنكِ تعرفين ماذا يعني التزيين، أليس كذلك؟**»

قالت أليس وهي متشككة: «**بلى، إنه يعني ... أن ... تُزيِّن الشيء ... حتى يصير ... أجمل.**»

قال الجريفن: «**إذن إذا كنتِ لا تعرفين ماذا يعني التَّقبيح فأنتِ بلهاءُ حقًّا.**»

لم تشعر أليس أن لديها الشجاعة أن تطرحَ أيَّ أسئلة أخرى عن هذه الكلمة؛ فالتفتت إلى السلحف المُزيَّف، وقالت: «**وماذا تعلَّمتَ غير ذلك؟**»

أجاب السلحف المُزيَّف وهو يعُدُّ المواد على أطراف زعانفه: «**التدويخ، القديم والحديث، مع البحروجرافيا، ثم تعلَّمنا فنون الرَّدْم ... وكان أستاذ الرَّدْم ثعبانًا بحريًّا عجوزًا يأتي مرةً كل أسبوع، وكان يعلِّمنا فن الرَّدْم، والرَّدْم التنطيطي، والتليين بالخيط.**»

قالت أليس: «**كيف كان ذلك؟**»

قال السلحف المُزيَّف: «**لا يمكنني أن أريكِ الآن بنفسي؛ فإن جسدي متيبِّس، أما الجريفن فهو لم يتعلَّمها قطُّ.**»

قال الجريفن: «**لم يكن لديَّ وقت، ولكني ذهبت إلى أستاذ الأدب الكلاسيكي. لقد كان سلطعونًا عجوزًا حقًّا.**»

قال السلحف المُزيَّف وهو يتنهَّد: «**لم أذهب إليه أبدًا، قيلَ إنه كان يُدرِّس اللاذعية والإبريقيَّة.**»

تنهَّد الجريفن بدوره قائلًا: «**هكذا كان يفعل، هكذا كان يفعل**»، **وخبَّأ الكائنان وجهيهما بحوافرهما.**

قالت أليس على عجلٍ كي تُغيِّر موضوع الحوار: «**وكم ساعةٍ في اليوم كنتم تتلقَّون الدروس؟**»

قال السلحف المُزيَّف: «**عشر ساعاتٍ في اليوم الأول، ثم تسع ساعاتٍ في اليوم الذي يليه، وهكذا هَلُمَّ جرًّا.**»

هتفت أليس في تعجُّب: «**يا له من جدولٍ غريب!**»

علَّق الجريفن قائلًا: «**لهذا السبب تُسمَّى دروسًا، لأنها تندرسُ يومًا بعد يوم.**»

كانت هذه فكرةً جديدةً تمامًا بالنسبة لأليس؛ ففكَّرت فيها قليلًا قبل أن تنطق بتعليقٍ آخر قائلةً: «**إذن، لا بدَّ أن اليوم الحادي عشر كان عطلة؟**»

قال السلحف المُزيَّف: «**لقد كان عطلةً بالتأكيد.**»

واصلت أليس سؤالها قائلةً بحماس: «**وماذا كنتم تفعلون في اليوم الثاني عشر؟**»

قاطعها الجريفن قائلًا بنبرةٍ حاسمة: «**كفانا كلامًا عن الدروس، احكِ لها الآن شيئًا عن الألعاب.**»





الفصل العاشر

رقصة الإستاكوزا الرباعية

تنهَّد السلحف المُزيَّف بعمق، ومسَح عينيه بظهر إحدى زعانفه، ثم نظر إلى أليس وحاول أن يتكلم، ولكنه غصَّ بنحيبه لدقيقةٍ أو دقيقتين واختنق صوته بالبكاء. قال الجريفن: «**بالضبط كما لو كان هناك عظمةٌ في حلقه**»، وأخذ يهزُّه ويربِّت على ظهره بحرص. وأخيرًا استعاد السلحف المُزيَّف صوته، وواصل حديثه مجدَّدًا والدموعُ تسيل على خدَّيه: «**ربما لم تعيشي كثيرًا تحت سطح البحر ...**» (قالت أليس: «**كلَّا لم أعش هناك**») ... «**وربما لم يسبق لكِ أن تعرَّفتِ على إستاكوزا ...**» (شرعت أليس تقول: «**ذات مرةٍ تذوَّقتُ طعم ...**» ولكنها راجعت نفسها بسرعةٍ وقالت: «**كلا، على الإطلاق**») ... «**إذن فلا يُمكن أن يكون لديكِ أيُّ فكرة كم هي مبهجة رقصة الإستاكوزا الرباعية!**»

قالت أليس: «**في الحقيقة، لا، أيُّ نوعٍ من الرقصات هي؟**»

قال الجريفن: «**في البداية تقفون في صفٍّ على امتداد الشاطئ...**»

صاح السلحف المُزيَّف: «**صفَّين! الفقمات، والسلاحف المائية، وسمك السلمون، وهكذا على هذا المنوال. وبعد تنظيف الطريق من قناديل البحر ...**»

قاطعه الجريفن قائلًا: «**وعادةً ما يستغرق هذا وقتًا طويلًا.**»

واصل السلحف المُزيَّف:«**... تخطين خطوتين إلى الأمام...**»

صاح الجريفن: «**وفي كل مرةٍ يكون بصُحبتك إستاكوزا بمثابة شريك لكِ في الرقصة!**»

قال السلحف المُزيَّف: «**بالتأكيد، تخطين خطوتين إلى الأمام، وتواجهين شركاء الرقص الآخرين ...**»

أكمل الجريفن: «**... ثم تستبدلين الإستاكوزا، وتخطين خطوتين إلى الخلف.**»

تابع السلحف المُزيَّف: «**وبعد ذلك كما تعرفين، تقذفين الـ ...**»

صاح الجريفن وهو يقفز في الهواء: «**الإستاكوزا!**»

واصل السلحف المُزيَّف: «**... في البحر إلى أبعد ما يُمكنكِ...**»

صرخ الجريفن: «**وتسبحين وراءها!**» صاح السلحف المُزيَّف وهو يتقافز بجنون: «**وتقومين بشقلبةٍ بهلوانيةٍ في البحر!**»

وصرخ الجريفن بأعلى صوته: «**ثم تستبدلين الإستاكوزا مرةً أخرى!**»

ثم قال السلحف المُزيَّف وقد انخفض صوته فجأة: «**ثم تعودين إلى البر مجدَّدًا، و... هكذا تتمِّين المجموعة الأولى من حركات الرقصة.**» وجلس الكائنان مُجدَّدًا بهدوءٍ وحزنٍ شديدَين ينظران إلى أليس، وهما اللذان كانا يتقافزان في كل الاتجاهات مثل المجانين طوال ذلك الوقت.

قالت أليس بخجل: «**لا بدَّ أنها رقصةٌ جميلةٌ جدًّا.**» قال السلحف المُزيَّف: «**هل تودِّين أن تشاهدي جزءًا منها؟**»

قالت أليس: «**أودُّ ذلك بشدَّة.**»

قال السلحف المُزيَّف للجريفن: «**هيَّا، لنحاول القيام بمجموعة الحركات الأولى! في الحقيقة، يُمكننا أن نقوم بها بدون الإستاكوزا. من منَّا سيغنِّي؟**»

قال الجريفن: «**آه، غنِّ أنتَ؛ لقد نسيت الكلمات.**»

وهكذا بدآ يرقصان وهما يدوران حول أليس بوقارٍ، وبين الحين والآخر يدوسان على أصابع قدمَيها حين

يمُرَّان بالقرب منها، ويلوِّحان بأطرافهما الأمامية كي يضبطوا زمن الإيقاع، بينما كان السلحف المُزيَّف يغنِّي هذه الأغنية بحزنٍ وبطءٍ شديدَين:

قالت سمكة البياض للحلزون: «**هلَّا أسرعتَ قليلًا؟**

هناك دولفين وراءنا، وهو يدوس على ذيلي

انظر كيف تسبح السلاحف البحرية والإستاكوزا بحماسٍ أمامنا!

إنهم ينتظرون على الشاطئ المليء بالصخور ... هلَّا أتيتَ وشاركتنا الرقص؟

هلَّا أتيتَ، ألن تأتِي، هلَّا أتيتَ، ألن تأتِي، هلَّا أتيتَ وشاركتنا الرقص؟

هلَّا أتيتَ، ألن تأتِي، هلَّا أتيتَ، ألن تأتِي، ألن تأتِ وتُشاركنا الرقص؟

حقًّا أنتَ لا تتصوَّر كم سيكون مبهجًا عندما يحملوننا لأعلى ويقذفوننا في البحر مع الإستاكوزا.»

ولكن الحلزون أجاب: «**بعيدٌ جدًّا، بعيدٌ جدًّا**»، وألقى عليهم نظرةً بارتياب.

قال إنه يشكرُ سمكة البياض بودٍّ ولكنه لن يشاركهم الرقص.

لن يذهب، لا يستطيع، لن يذهب، لا يستطيع، لن يذهب ويشاركهم الرقص

لن يذهب، لا يستطيع، لن يذهب، لا يستطيع، لن يستطيع أن يشاركهم الرقص

أجابته صديقته ذات الحراشف: «**وما المشكلةُ في أن نذهب بعيدًا؟**

هنالك شاطئ آخر، كما تعلم، على الجانب الآخر

كلَّما ابتعدنا عن إنجلترا ... اقتربنا من فرنسا

فلا تخف أيها الحلزون المحبوب، وتعالَ شاركنا الرقص

هلَّا أتيتَ، ألن تأتِي، هلَّا أتيتَ، ألن تأتِي، هلَّا أتيت وشاركتنا الرقص؟

هلَّا أتيتَ، ألن تأتِي، هلَّا أتيتَ، ألن تأتِي، ألن تأتِ وتُشاركنا الرقص؟»

قالت أليس وهي تشعر بالسرور الشديد لأنَّ الرقصة انتهت أخيرًا: «**شكرًا لكما، إنها رقصةٌ مشوِّقة وتستحق المشاهدة، لقد أحببت تلك الأغنية الغريبة التي تحكي عن سمكة البياض.**»

قال السلحف المُزيَّف: «**آه، وبخصوص سمك البياض، إنهم ... لقد سبق لكِ رؤيتهم بالتأكيد، أليس كذلك؟**»

قالت أليس: «**أجل، لقد رأيتهم كثيرًا في الغ ...**» ثم راجعت نفسها بسرعة وتوقَّفت.

قال السلحف المُزيَّف: «لا أعرف أين يمكن أن يكون الغ، ولكن إذا كنتِ قد رأيتِهم كثيرًا، فبالتأكيد تعرفين ما شكلهم.»

أجابت أليس بتمعُّن: «**أظنُّ ذلك، إنَّهم يضعون ذيولهم في أفواههم ... ويغطِّيهم الفُتات بأكملهم.**»

قال السلحف المُزيَّف: «**أنتِ مخطئةٌ فيما يخص الفُتات؛ فإن ماء البحر يزيلها كلها. ولكنهم يضعون ذيولهم في أفواههم؛ والسبب هو ...**» وهنا تثاءب السلحف المُزيَّف، وأغمض عينيه ثمَّ قال للجريفن: «**أخبرها عن السبب وما إلى ذلك.**»

قال الجريفن: «**السبب هو أنهم يذهبون للرقص مع الإستاكوزا. وهكذا يُلقَون في البحر. وهكذا يضطرون إلى السقوط لمسافةٍ طويلة. ولذلك يضعون ذيولهم في أفواههم بسرعة. وهكذا لا يستطيعون إخراجها مرةً أخرى. هذا كل شيء.**»

قالت أليس: «**شكرًا لك، هذا مشوِّق للغاية. لم أكن أعرف كل هذا القدر عن سمكة البياض.**»

قال الجريفن: «**يُمكنني أن أخبركِ المزيد إذا كنتِ تريدين، هل تعلمين لماذا تُسمَّى باسم سمكة البياض؟**»

قالت أليس: «**لم أفكر في هذا أبدًا، لماذا؟**»

أجاب الجريفن بجديةٍ بالغة: «**لأنها تُلمِّع الأحذية.**»

تحيَّرت أليس تمامًا، وأعادت عليه كلامه بنبرةٍ مُتسائلة: «**تُلمِّع الأحذية!**»

قال الجريفن: «**نعم، بماذا يُنظَّفُ حذاءكِ؟ أقصد ما الذي يجعله لامعًا هكذا؟**»

نظرت أليس إلى حذائها بالأسفل، وتفكَّرت قليلًا قبل أن تجيب: «**إنه يُلَمَّعُ بدهان السواد، على ما أعتقد.**»

قال الجريفن بصوت عميق: «**إن الأحذية تحت سطح البحر تُلَمَّعُ بالبياض. ها قد عرفتِ السبب.**»

قال أليس بنبرةٍ تحمل الكثير من الفضول: «**ومِمَّ تُصنع هذه الأحذية؟**»

أجاب الجريفن بنفاد صبر: «**تُصنع النعال من سمك موسى والكعوبُ من ثعابين البحر بالتأكيد، يُمكنُ لأي حيوان جمبري صغير أن يُخبركِ بذلك.**»

قالت أليس التي كانت أفكارها ما تزال تدور حول الأغنية: «**لو كنتُ مكان سمكة البياض لكنتُ قلتُ للدولفين: «تراجع من فضلك، لا نريدكَ معنا»**.»

قال السلحف المُزيَّف: «**إنهم مُجبَرون على صُحبته، لا يُمكن لسمكةٍ عاقلةٍ أن تذهب إلى أيِّ مكان بدون دولفين.**»

قال أليس بنبرةٍ تنمُّ عن اندهاش كبير: «**ألن تذهب بدونه حقًّا؟**»

قال السلحف المُزيَّف: «**بالطَّبع لا، فإذا جاءتني سمكة، وأخبرتني أنها ستذهب في رحلة، يجب عليَّ أن أسألها: «مع أيِّ دولفين؟»**.»

قال أليس: «**ألا تقصد شيئًا آخر غير «مع أيِّ دولفين»؟**»

أجاب السلحف المُزيَّف بنبرةٍ تنمُّ عن شعوره بالإهانة: «**أنا أقصد ما أقوله.**»

وأضاف الجريفن: «**هيَّا، لنسمع عن بعض مغامراتكِ.**»

قالت أليس بشيءٍ من الخجل: «**يُمكنني أن أُخبركما عن مغامراتي ... بدءًا من هذا الصباح، لكن لا جدوى من العودة إلى أمس، لأنني حينئذٍ كنتُ شخصًا مختلفًا.**»

قال السلحف: «**فسِّري لنا معنى كلِّ هذا.**»

قالت جريفن بنبرةٍ تنمُّ عن نفاد الصبر: «**لا! لا! المغامرات أولًا؛ إن التفسيرات تستغرق وقتًا رهيبًا.**»

وهكذا، بدأت أليس تحكي لهما عن مغامراتها، من اللحظة التي رأت فيها الأرنب الأبيض لأول مرة. كانت تشعر بشيءٍ من القلق في البداية؛ حيث اقترب منها الكائنان، وجلس كل واحدٍ منهما على جانبٍ منها، وفتحا عيونهما وفميهما على اتساعهم، ولكن شجاعتها كانت تزداد كلما مضت في حكايتها. كان مستمعاها هادئَين تمامًا حتى وصلت عند الجزء الذي تنشد فيه للدودة قصيدة

«أنت عجوزٌ أيُّها الأب ويليام»، وكيف أنَّ الكلمات كلَّها خرجت بصورةٍ مختلفةٍ عمَّا هي عليه في الأصل؛ سحب السلحف المُزيَّف نفَسًا طويلًا وقال: «**هذا غريبٌ جدًّا.**»

قال الجريفن: «**إن كل شيءٍ غريبٌ لأقصى حدٍّ من الغرابة.**»

ردَّد السلحف المُزيَّف بتمعُّن: «**خرجت الكلمات كلُّها بصورةٍ مختلفةٍ تمامًا عمَّا هي عليه في الأصل! أودُّ أن أسمعها وهي تحاول أن تنشد قصيدة الآن. قُل لها أن تبدأ**» ونظر إلى الجريفن كما لو أنه كان يظنُّ أن للجريفن نوعًا من السُّلطة على أليس.

قال الجريفن: «**قومي، وأنشدي قصيدة «إنه صوت الكسلان».**»

فكَّرت أليس: «**كيف تأمُرني هذه المخلوقات، وتجعلني أسمِّع دروسي! وكأنَّني في المدرسة.**» وعلى الرغم من ذلك، وقفت أليس، وشرعت تُنشد القصيدة، ولكن رأسها كان مشغولًا جدًّا برقصة الإستاكوزا الرباعية، إلى درجة أنها لم تعد تدرك ما الذي تقوله، وخرجت الكلماتُ منها شديدة الغرابة حقًّا:

«إنه صوت الإستاكوزا؛ سمعته يقول:

«لقد حمَّصتني إلى أن صار لوني بنيًّا، يجب أن أضع السكَّر على شعري»

ومثلما تفعل البطة بجفونها، كان يفعل هو بأنفه

ويضبط حزامه وأزرار قميصه، ويقلب أصابع قدميه.»

قال الجريفن: «إنها مختلفةٌ عما اعتدت أن أغنِّيها حين كنت طفلًا.»

قال السلحف المُزيَّف: «أما أنا فلم يسبق لي أن سمعتها على الإطلاق، ولكنها تبدو كلامًا فارغًا بلا أيِّ معنى.»

لم تقُل أليس شيئًا. جلست على الأرض مجدَّدًا، وأخفت وجهها بين يديها، وهي تتساءل ما إذا كان أيُّ شيءٍ سيعود إلى مجراه الطبيعي مرةً أخرى.

قال السلحف المُزيَّف: «أودُّ أن أسمع شرح هذه القصيدة.»

قال الجريفن بسرعة: «لا يمكنها أن تشرحها لك»، ثم وجَّه كلامه إلى أليس وقال: «هيَّا أنشدي لنا المقطع الثاني.»

أصرَّ السلحف المُزيَّف وقال: «ولكن ماذا عن أصابع قدمه؟ كيف يُمكنه أن يقلبها بأنفه؟»

قالت أليس: «**إنه الوضع الأول في الرقص**»، ولكن الأمر كله كان قد أصابها بالحيرة الشديدة؛ ورغبت بشدة في تغيير موضوع الحديث.

أعاد الجريفن بنفادِ صبر: «**هيَّا أنشدي المقطع الثاني، إنه يبدأ بعبارة: «مررتُ بجانب حديقته».**»

لم تجرؤ أليس على أن تعصي أمره، على الرغم من أنها كانت تشعر أن كل الكلمات ستخرج في صورةٍ خاطئةٍ بالتأكيد، ومضت تنشد بصوتٍ مرتجف:

«**مررتُ بجانب حديقته ورأيتُ بعيني**

كيف يتقاسم البومة والمحار في فطيرة يأكلانها سويًّا.»

قاطعها السلحف المُزيَّف وقال: «**ما الفائدة من تكرار كل هذا الكلام إذا كنتِ لا تشرحين ما يعنيه؟ إنه أكثر نصٍّ محيِّرٍ سمعته طوال حياتي حتى الآن!**»

قال الجريفن: «**نعم، أظنُّ أنه من الأفضل لكِ أن تتوقَّفي.**» وشعرت أليس بالسرور الشديد لذلك.

مضى الجريفن يقول: «**هل نقوم بمجموعة حركاتٍ أخرى من رقصة الإستاكوزا الرباعية؟ أم تُحبين أن يغنِّي لكِ السلحف المُزيَّف أغنية؟**»

أجابت أليس بحماس: «**آه، أغنية من فضلك، إذا تكرَّم السلحف المُزيَّف وغنَّاها لنا**»، مما جعل الجريفن يقول بنبرةٍ تنمُّ عن شعوره بالإساءة: «**همم! الناسُ أذواق! هلَّا تفضلت وغنَّيت لها أغنية «حساء السلحفاة المائية» يا صديقي العزيز؟**»

تنهَّد السلحف المُزيَّف تنهيدةً عميقة، وشرع يغنِّي بصوتٍ يختنق بالنحيب أحيانًا:

«حساءٌ أخضرٌ غنيٌّ

ينتظرُ في سُلطانيةٍ ساخنة

من ذا الذي يمكنه أن يقاوم طعمه اللذيذ؟

حساءُ المساءِ حساءٌ جميل!

حساءُ المساءِ حساءٌ جميل!

حسااااءٌ جمييييل!

حسااااءٌ جمييييل!

حسااااءُ المسااااء

جميلٌ، حساءٌ جميل!

حساءٌ جميل! مَن يبالي بالسمك

أو بالطيور، أو بأيٍّ أكلةٍ أخرى؟

من ذا الذي لن يترك كلَّ شيء

ليحظى بحساءٍ جميلٍ بقرشَين فقط؟

بحساءٍ جميلٍ بقرشَينِ فقط؟

حسااااءٌ جميييل!

حسااااءٌ جميييل!

حسااااء المسااااء!

جميلٌ، حساااااءٌ جميييييل!»

صاح الجريفن: «**غنِّ لنا الكُورَس مرةً أخرى!**»، وكان السلحف المُزيَّف قد بدأ يُردِّد الكوُرَس عندما سمعوا صيحةً من مسافةٍ بعيدةٍ تقول: «**ستبدأ المحاكمة!**»

صاح الجريفن: «**هيَّا تعالَي!**» وهرع مُسرعًا وهو يمسك بيد أليس، ولم ينتظر حتى تنتهي الأغنية.

قالت أليس وهي تركض لاهثةً: «**أيَّة محاكمة تلك؟**» ولكن لم تكُن إجابة الجريفن سوى «**هيَّا تعالَي!**»، وركض

بأقصى سرعته، بينما كان النسيم الذي يتبعهما يحمل إليهما كلمات الأغنية الحزينة، التي يخفت صوتها كلَّما ابتعدا:

«حساااء المسااااء

جميلٌ، حساءٌ جميل!»


عصير الكتب للنشر والتوزيع

الفصل الحادي عشر

من الذي سرق الكعكات؟

وعندما وصلا، كان ملك وملكة القلب الأحمر يجلسان على كرسيِّ العرش، وقد تجمَّع حولهما حشدٌ هائل من الطيور والحيوانات الصغيرة بشتَّى أنواعها، بالإضافة إلى مجموعة أوراق اللعب بأكملها. وكان شابُّ القلب الأحمر يقف أمامهما مُقيَّدًا بالسلاسل، ويقف على جانبيه جنديان يحرسانه، وبالقرب من الملك كان يقف الأرنب الأبيض وهو يُمسك بوقًا بإحدى يديه، ولفافةً من الورق بيده الأخرى. وفي وَسَط قاعة المحكمة، كان هناك مائدةٌ عليها طبقٌ كبيرٌ مليءٌ بالكعكات، وكانت تبدو شهيَّةً ورائعةً إلى حدٍّ جعل أليس تشعر بالجوع من مجرَّد النظر إليها، وفكَّرت أليس: «أتمنى أن ينتهوا من المحاكمة ويوزِّعوا علينا المرطِّبات!» ولكن لم يبدُ أن هناك فرصة لحدوث

هذا؛ لذلك أخذت تنظر إلى كل شيءٍ حولها كي تُمضِّي الوقت.

لم يسبق لأليس أن ذهبت إلى أيِّ محكمة من قبل، ولكنَّها قرأت عنها في الكتب، وكانت سعيدةً جدًّا عندما وجدت أنها تعرف تقريبًا اسم كل شيءٍ هناك. قالت أليس لنفسها: «هذا هو القاضي؛ بسبب هذه الباروكة الضخمة التي يرتديها.» وبالمناسبة، كان القاضي هو نفسه الملك، وكان يرتدي تاجه فوق الباروكة، فلم يبدُ عليه الارتياح إطلاقًا، ولم يكن ما وضعه على رأسه لائقًا بالتأكيد.

فكَّرت أليس: «**وهذه هي منصَّة هيئة المُحَلَّفين، وهؤلاء المخلوقات الاثنا عشر**» (وكانت مُلزمةً أن تقول «المخلوقات» لأن بعضهم كان من الطيور وبعضهم كان من الحيوانات) «أظنُّ أنهم المُحَلَّفون.» وكرَّرت لنفسها هذه الكلمة الأخيرة مرتين أو ثلاث مرَّاتٍ وهي تشعر بشيءٍ من الفخر؛ لأنها كانت تظنُّ (وظنُّها صحيحٌ) أن عددًا قليلًا جدًّا من الفتيات الصغيرات في مثل عمرها يعرفن معنى هذه الكلمة.

وكان المُحلَّفون الاثنا عشر منهمكين في الكتابة على الألواح. همست أليس للجريفن: «**ماذا يفعلون؟ لا يُمكن**

أن يكون لديهم ما يدوِّنونه قبل أن تبدأ المحاكمة.» أجابها الجريفن هامسًا: «**إنهم يُدوِّنون أسماءهم؛ خشية أن ينسوها قبل أن تنتهي المحاكمة.**»

قالت أليس بصوتٍ ساخطٍ عالٍ: «**مخلوقات غبية!**» ولكنَّها أوقفت نفسها بسرعة؛ حيث إن الأرنب الأبيض صاح عاليًا: «**الصمت في قاعة المحكمة!**»، ووضع الملك نظارته، وأخذ ينظر بقلقٍ حوله كي يرى من كان يتكلم.

واستطاعت أليس أن ترى ما يُدوِّنه المُحَلَّفون، كما لو كانت تنظر من فوق أكتافهم، وقد رأت أنهم جميعها كانوا يكتبون «**مخلوقات غبية!**» على ألواحهم، بل استطاعت حتى ملاحظة أن أحدهم لم يكن يعرف كيف يتهجَّى «**غبية**»، وأنه اضطر أن يسأل من يجلس بجواره كي يُخبره كيف يكتبها. وفكَّرت أليس: «**يا للفوضى التي ستكون في ألواحهم قبل أن تنتهي المحاكمة!**»

وكان قلمُ أحد المُحَلَّفين يُصدر صريرًا مزعجًا. وبالطبع لم تتحمَّل أليس ذلك الصوت؛ ودارت حول قاعة المحكمة حتى وقفت خلفه، وسرعان ما وجدت فرصة لانتزاع القلم منه. وفعلت ذلك بسرعةٍ كبيرةٍ إلى حدٍّ أن المُحَلَّف الصغير

المسكين (الذي كان هو بيل ذكر السحلية) لم يُدرك ماذا حدث للقلم على الإطلاق؛ ولذلك، بعد أن بحث عنه في كل مكان، كان مُجبرًا أن يكتب بأحد أصابعه لبقية اليوم. ولم يكُن لهذا فائدةٌ تُذكر؛ إذ لم يترك إصبعه أي علامة على اللوح.

قال الملك: «**أيها المنادي، اقرأ التهمة!**»

وعندئذٍ نفخ الأرنب الأبيض في البوق ثلاث نفخاتٍ بقوة، ثمُ فرد لفافة الورق، وقرأ ما يلي:

«**ملكة القلب الأحمر أعدَّت بعض الكعكات**

طوال يومٍ صيفيٍّ جميل

شابُّ القلب الأحمر سرق تلك الكعكات

وهرب بهم مسافة ألف ميل!»

قال الملك للمُحَلَّفين: «**تداولوا في الأمر كي تنطقوا بحُكمكم.**»

قاطعه الأرنب الأبيض على عجل: «**لا، ليس بَعد، ليس بَعد! هُنالك الكثير مما ينبغي أن يحدث قبل ذلك!**»

قال الملك: «**نادِ على الشاهد الأول**»، ونفخ الأرنب الأبيض في البوق ثلاث نفخاتٍ بقوة، وصاح: «**الشاهد الأول!**»

وكان الشاهد الأول هو صانع القبعات. دخل القاعة وهو يحمل فنجان شاي بِإحدى يديه، وبالأخرى قطعةً من الخبز المدهون بالزبد. بدأ صانع القبعات يقول: «**أستميحك عذرًا يا صاحبَ الجلالة لأني أحضرت معي هذه الأشياء، ولكني لم أكن قد انتهيت من شرب الشاي عندما أرسلتم في طلبي.**»

قال الملك: «**كان ينبغي أن تكون قد انتهيت، متى بدأت؟**»

نظر صانع القبعات إلى أرنب مارس البريِّ الذي كان قد تَبِعه إلى المحكمة وهو يتأبَّط ذراع الزغبة، ثم قال: «**أظنُّ أن ذلك كان في الرابع عشر من شهر مارس.**»

قال أرنب مارس البريُّ: «**بل الخامس عشر.**»

وأضاف الزغبة: «**السادس عشر.**»

قال الملكُ لهيئةِ المُحَلَّفين: «**دوِّنوا هذا**»، فدوَّن المُحَلَّفون التواريخ الثلاثة على ألواحهم بحماس، ثم جمعوها، وحوَّلوا الناتج إلى شلناتٍ وقروش.

وقال الملك لصانع القبعات: «**اخلع قُبَّعتك.**»

قال صانع القبعات: «**إنها ليست قُبَّعتي.**»

هتف الملك مُتعجِّبًا: «**مسروقة!**» وهو يلتفت إلى هيئة المُحَلَّفين الذين كتبوا في الحال مُذكَّرةً عن هذه الواقعة.

أضاف صانع القبعات شارحًا: «**أنا أحتفظُ بالقبعات كي أبيعها؛ لا أمتلك قُبعةً خاصة بي. أنا صانع قبعات.**»

وهنا، وضعت الملكة نظَّارتها، وبدأت تُحَدِّق في صانع القبعات الذي شحب وجهه وأخذ يتململ.

قال الملك: «**أدلِ بشهادتك، ولا تتوتَّر، وإلَّا أمرتُ بإعدامك في الحال.**»

لم يبدُ أن هذا الكلام قد شجَّع الشاهد على الإطلاق: فقد ظلَّ يتمايل في وقفته ويستند على قدمٍ ثُمَّ على الأخرى، وهو ينظر إلى الملكة بقلقٍ، ومن فرط ارتباكه قضم قطعةً كبيرةً من فنجان الشاي بدلًا من الخبز المدهون بالزبد.

وفي هذه اللحظة، انتاب أليس إحساسٌ شديدُ الغرابة، حيَّرها كثيرًا إلى أن أدركت ماهية هذا الإحساس: لقد بدأ

حجمها يزداد مجدَّدًا، وفكَّرت في البداية أن تقوم وتغادر قاعة المحكمة، ولكن بعد إعادة التفكير قرَّرت أن تظلَّ مكانها ما دام هناك مُتَّسعٌ لها.

قال الزغبة الذي كان يجلس بجانبها: «**أتَّمنى ألَّا تضغطي عليَّ هكذا، فأنا بالكاد أستطيع أن أتنفَّس.**»

قالت أليس بخضوعٍ شديد: «**لا يُمكنني أن أمنع ذلك، فأنا أنمو.**»

قال الزغبة: «**ليس من حقِّكِ أن تنمي هنا.**»

قالت أليس بمزيدٍ من الجرأة: «**لا تقُل كلامًا فارغًا؛ أنت تعلم أنَّك أيضًا تنمو.**»

قال الزغبة: «**نعم، ولكنني أنمو بسرعةٍ معقولة، وليس بهذه الطريقة السخيفة.**» ثمَّ قام من مكانه بوجهٍ عَبوس، وعبر إلى الجانب الآخر من قاعة المحكمة.

وطوال هذا الوقت، لم تكُفَّ الملكة عن التحديق في صانع القبعات، وما إن عبَرَ الزغبة قاعة المحكمة حتى قالت لأحد ضباط المحكمة: «**أحضر لي قائمة بأسماء المُغنِّين في الحفل الموسيقي الأخير!**» وعندها ارتجف صانع القبعات التعيس بشدة حتى انخلعت فردتا حذائه من قدميه.

أعاد الملك بغضب: «**أدلِ بشهادتك، وإلا أمرت بإعدامك سواءً كنت متوترًا أم لا.**»

قال صانع القبعات بصوتٍ مرتجف: «**أنا رجلٌ مسكينٌ يا صاحبَ الجلالة. ولم أكن قد بدأت شرب الشاي ... مُنذ أسبوعٍ أو أقلَّ تقريبًا ... وأما الخبز المدهون بالزبد فقد صار يابسًا ... وأما لألأة الشاي...**»

قال الملك: «**لألأة ماذا؟**»

أجاب صانع القبعات: «**الشاي، ولم تكن تلك النهاية.**»

قال الملك بحدة: «**بالطبع أعرف أن كلمة «الشاي» لم تكن نهاية الجملة! هل تحسبني غبيًّا؟ هيًّا أكمل كلامك!**»

قال صانع القبعات: «**أنا رجلٌ مسكين، ومعظم الأشياء أخذت تتلألأ بعد ذلك ... إلا أنَّ أرنب مارس البريَّ قال ...**»

قاطعه أرنب مارس البريُّ على عجل: «**لا لم أقل!**»

قال صانع القبعات: «**بل قلت!**»

قال أرنب مارس البريُّ: «**إنني أنكر ذلك!**»

قال الملك: «**إنه ينكر ذلك، فلندع هذا الجزء خارج الحديث.**»

واصل صانع القبعات: «**حسنًا، على أيِّ حال، فإن الزغبة قال ...**» وأخذ ينظر حوله بقلقٍ كي يرى ما إذا كان الزغبة سينكر أيضًا، ولكنَّ الزغبة لم ينكر شيئًا لأنه كان مستغرقًا في النوم.

وتابع صانع القبعات: «**وبعد ذلك، قطعتُ المزيد من الخبز المدهون بالزبد ...**»

سأل أحدُ أعضاء هيئة المُحَلَّفين: «**ولكن ماذا قال الزغبة؟**»

قال صانع القبعات: «**هذا ما لا أستطيع تذكُّره.**»

علَّق الملك قائلًا: «**لا بدَّ أن تتذكَّر، وإلا أمرتُ بإعدامك في الحال!**»

أسقط صانع القبعات التعيس فنجان الشاي وقطعة الخبز المدهون بالزبد، وركع على إحدى ركبتيه، وبدأ يقول: «**أنا رجلٌ هزيلٌ يا صاحبَ الجلالة.**»

قال الملك: «**بل حديثك هزيلٌ جدًّا.**»

وهنا، هلَّلَ أحد خنازير غينيا، ولكن سرعان ما قمعه ضباط المحكمة. (ولأن هذه الكلمة صعبةٌ بعض الشيء

فسوف أشرح لك كيف قاموا بذلك. كان مع الضباط حقيبةٌ كبيرةٌ من القماش، يربطون فوَّهتها بالحبال، وفي داخل هذه الحقيبة، أدخلوا خنزير غينيا ابتداءً برأسه، ثم جلسوا فوقه.

فكَّرت أليس: «**أنا سعيدةٌ لأني رأيت هذا. لقد قرأت كثيرًا في الجرائد، أنه في نهاية جلسات المحاكمة، «كان هناك بعض المحاولات للهتاف، ولكن ضباط المحكمة قمعوا تلك المحاولات في الحال» ولم أفهم ما يعنيه ذلك حتى الآن.**»

واصل الملك: «**إذا كان هذا هو كل ما تعرفه عن الأمر فيُمكنك أن تتفضَّل بالنزول.**»

قال صانع القبعات: «**لا يمكنني النزول أكثر من هذا، فأنا على الأرض بالفعل.**»

أجاب الملك: «**إذن يُمكنك الجلوس.**»

وهنا هلَّل خنزير غينيا الآخر، فقمعه ضباط المحكمة.

فكَّرت أليس: «**ها قد تخلَّصنا من خنازير غينيا، والآن يمكننا أن نُكمل الجلسة على نحوٍ أفضل.**»

قال صانع القبعات وهو ينظر بقلقٍ نحو الملكة التي كانت تقرأ قائمة المغنِّين: «**أُفضِّل أن أنتهي من تناول الشاي.**»

قال الملك: «**يُمكنك أن تذهب**»، وغادر صانع القبعات قاعة المحكمة مُسرعًا، من دون حتى أن ينتظر كي يرتدي حذاءه. وأضافت الملكة لأحد الضباط: «... **واقطع رأسه بمجرد أن يخرج**»، ولكن كان صانع القبعات قد اختفى عن الأنظار قبل أن يستطيع الضابط أن يصل إلى الباب.

قال الملك: «**نادِ على الشاهد الثاني!**»

كان الشاهد الثاني هو طاهية الدوقة. كانت تحمل علبة الفلفل في يدها، وخمَّنت أليس أنها الشاهد الثاني من قبل حتى دخولها إلى قاعة المحكمة؛ وذلك حين رأت الناس الجالسين بالقرب من الباب قد بدأوا يعطسون جميعًا في الوقت نفسه.

قال الملك: «**أدلي بشهادتك.**»

قالت الطاهية: «**لن أفعل.**»

نظر الملك بقلقٍ إلى الأرنب الأبيض الذي قال بصوتٍ منخفض: «**يا صاحبَ الجلالة، لا بدَّ أن تستجوب هذه الشاهدة.**»

اغتمَّ الملك وقال: «**إذا كان لا بدَّ من ذلك، فلا بدَّ منه**»، وبعد أن عقد ذراعَيه، وعبَسَ في وجه الطاهية حتى كادت

عيناه تختفيان عن الأنظار، قال بصوتٍ عميق: «**مِمَّ تُصنع الكعكات؟**»

قالت الطاهية: «**من الفلفل، في المقام الأول.**»

قال صوتٌ ناعسٌ يأتي من خلفها: «**من العسل الأسود.**»

صرخت الملكة: «**اخنقوا حيوان الزغبة هذا! اقطعوا رأسه! اطردوه من قاعة المحكمة! اقمعوه! اضربوه! اقطعوا شاربيه!**»

وعمَّت الفوضى أرجاء قاعة المحكمة لبضع دقائق أثناء طرد الزغبة، وعندما استقر الجميع في أماكنهم مرةً أخرى كانت الطاهية قد اختفت.

قال الملك بنبرةٍ تنمُّ عن شعوره بارتياحٍ كبير: «**لا يهمُّ! نادِ على الشاهد التالي.**»

ثمَّ أضاف بصوتٍ خفيضٍ مُخاطبًا الملكة: «**حقًّا يا عزيزتي، لا بدَّ أن تستجوبي أنتِ الشاهد التالي؛ فالاستجواب يصيبني بالصداع.**»

راقبت أليس الأرنب الأبيض وهو يتحسَّس قائمة أسماء الشهود، وهي تشعر بالفضول الشديد لترى من سيكون الشاهد التالي وكيف ستكون هيئته، وقالت لنفسها: «... **حيث إنهم لم يحصلوا على أدلةٍ كافيةٍ حتى الآن.**» ولك أن

تتخيَّل دهشتها حين نادى الأرنب الأبيض بأعلى صوته الصغير الحاد اسم «أليس».


عصير الكتب للنشر والتوزيع

الفصل الثاني عشر

شهادة أليس

صاحت أليس: «**هنا!**»، وكانت قد نسيت تمامًا في غمرة اضطراب هذه اللحظة كم صار حجمها كبيرًا خلال الدقائق القليلة الأخيرة، وقامت من مكانها بسرعةٍ جعلتها تقلب منصَّة هيئة المُحَلَّفين بطرف تنورتها، فانقلب المُحلَّفون على رءوس الحشد الجالس أسفل المنصَّة، وكان منظرهم وهم منبطحون وقد امتدَّت أطرافهم وسط الحشد يُذكِّرها كثيرًا بحوض الأسماك الذهبيَّة الذي قَلبته عن غيرِ قصد في الأسبوع الماضي.

هتفت أليس بفزعٍ شديد: «**آه، أرجو منكم المعذرة!**»، وبدأت في التقاطهم ثانيةً بأسرع ما كان بإمكانها؛ حيث إن

حادثة الأسماك الذهبية ظلَّت تدور في رأسها، وكان لديها فكرةٌ مُبهمةٌ أنها يجب أن تجمعهم في الحال، وتعيدهم إلى منصَّة هيئة المُحلَّفين، وإلا فسوف يموتون.

قال الملك بوقارٍ شديد: «**لا يُمكن استكمال جلسة المحاكمة حتى يعود جميع المُحَلَّفين إلى أماكنهم الصحيحة ... جميعهم**»، وكرَّر ذلك بتأكيدٍ شديد، وهو يحدِّق في أليس باهتمام. نظرت أليس إلى منصَّة هيئة المُحَلَّفين، ووجدت أنها أثناء تسرُّعها وضعت ذكر السحلية رأسًا على عقب، وكان المسكينُ يحرِّك ذيله بحزنٍ في جميع الاتجاهات؛ حيث إنه كان عاجزًا تمامًا عن الحركة. فأخرجته على الفور، ثم أعادته في الوضع الصحيح، وقالت لنفسها: «**مع أنه لا أهميَّة لذلك؛ فأنا أعتقد أن فائدته في المحاكمة وهو معتدلٌ هي نفسها فائدته وهو مقلوبٌ رأسًا على عقب.**»

وما إن أفاق المُحَلَّفون من صدمة انقلابهم، وتم إيجاد ألواحهم وأقلامهم وإعادتها إليهم، حتى بدأوا العمل بكل اجتهادٍ وجديةٍ في كتابة الحادثة، جميعهم ما عدا ذكر السحلية الذي بدا مُنهكًا إلى درجةٍ أنه لا يستطيع فعل أيِّ شيءٍ سوى أن يجلس فاغرًا فمه، وهو يُحدِّق في سقف قاعة المحكمة.

قال الملك لأليس: «**ماذا تعرفين عن هذه القضية؟**»

قالت أليس: «**لا شيء.**»

ألحَّ الملك: «**لا شيء على الإطلاق؟**»

قالت أليس: «**لا شيء على الإطلاق.**»

قال الملك وهو يلتفت إلى المُحَلَّفين: «**هذا أمرٌ مهمٌّ للغاية**»، وكانوا على وشك أن يدوِّنوا هذا على ألواحهم عندما قاطعه الأرنب الأبيض قائلًا: «**تقصدُ غير مهمٍّ طبعًا يا صاحبَ الجلالة**»، وقالها بنبرةٍ يملؤها الاحترام، ولكنَّه كان يعبِسُ ويومئ بوجهه وهو يتحدَّث إلى الملك.

قال الملك بسرعة: «**غير مهمٍّ طبعًا، هذا ما قصدته**»، ومضى يُحدِّث نفسه بصوتٍ خفيض: «**مهم ... غير مهم ... غير مهم ... مهم ...**» كما لو أنه كان يحاول معرفة أيِّهما لها وقعٌ أفضل.

بعضُ المُحَلَّفين دوَّنها «**مهم**» وبعضهم دوَّنها «**غير مهم.**» استطاعت أليس أن ترى هذا لأنها كانت قريبةً منهم بالقدر الكافي كي تلقي نظرةً على ألواحهم، وفكَّرت بينها وبين نفسها: «**لكن لا يهمُّ ذلك على الإطلاق.**»

وفي هذه اللحظة، صاح الملك الذي كان يكتب في كراسته بانهماك: «**سكوت!**»، ثم قرأ من كتابه بصوتٍ عالٍ: «القاعدة رقم اثنين وأربعين. كل الأشخاص الذين يتجاوز طولهم ألف مترٍ عليهم أن يُغادروا قاعة المحكمة.»

نظر الجميع إلى أليس.

قالت أليس: «**لا يبلغ طولي ألف متر.**»

قال الملك: «**بل يبلغ ألف متر.**»

أضافت الملكة: «**ألفين تقريبًا.**»

قالت أليس: «**لن أذهب على أيِّ حال، ثم إن هذه ليست قاعدةً قانونيةً عاديَّة؛ لقد اخترعتها أنت حالًا.**»

قال الملك: «**إنها أقدم قاعدةٍ قانونيَّةٍ في الكتاب.**»

قالت أليس: «**إذن، كان ينبغي أن تكون قاعدة رقم واحد.**»

شحب وجه الملك، وأغلق كراسته بسرعة، ثم قال للمُحَلَّفين بصوتٍ خفيضٍ مرتجف: «**تداولوا في الأمر كي تنطقوا بحُكمكم.**»

قال الأرنب وهو يقفز لأعلى بسرعةٍ هائلة: «**ما زال هناك المزيد من الأدلة يا صاحبَ الجلالة، لقد عثرنا على هذه الورقة حالًا.**»

قالت الملكة: «**ماذا فيها؟**»

قال الأرنب الأبيض: «**لم أفتحها بعد، ولكن يبدو أنها رسالة، كتبها السجين إلى ... إلى شخصٍ ما.**»

قال الملك: «**لا بدَّ أنها كذلك، إلا إذا كانت لم تُكتب لأحد، وهو ما ليس بالأمرِ المُعتاد كما تعرفون.**»

قال أحد المُحَلَّفين: «**إلى مَن وُجِّهت هذه الرسالة؟**»

قال الأرنب الأبيض: «**إنها ليست مُوَجَّهةً لأيِّ أحدٍ على الإطلاق؛ في الحقيقة، لم يُكتب أيُّ شيءٍ على وجهها الخارجي.**» وفتح طيَّات الورقة أثناء كلامه، ثمَّ أضاف: «**إنها ليست رسالة في الواقع: إنها مجموعةٌ من الأبياتِ الشعرية.**»

سأل مُحَلَّفٌ آخر: «**هل هي مكتوبةٌ بخطِّ يد السجين؟**»

قال الأرنب الأبيض: «**لا، إنَّها ليست مكتوبةً بخط يده، وهذا أغرب ما في الأمر.**» (بدت الحيرةُ على جميع المُحَلَّفين).

قال الملك: «**لا بُدَّ أنه قلَّد خطَّ يد شخصٍ آخر.**» (ابتهجت وجوه المُحَلَّفين جميعًا مرةً أُخرى).

قال شابُّ القلب الأحمر: «**اسمح لي يا صاحبَ الجلالة، أنا لم أكتب هذه الرسالة، وهم لا يُمكنهم إثبات أني كتبتُها، فلا يوجد هناك توقيعٌ في آخرها.**»

قال الملك: «**إذا كنت لم توقِّع عليها فهذا يجعل الأمر أسوأ. لا بدَّ أنك نويت شرًّا، وإلا لَوقَّعتَ باسمك كأيِّ رجلٍ نزيه.**»

عقب هذا الكلام، شرع جميع الحاضرين في التصفيق؛ لقد كان هذا حقًّا أوَّل شيءٍ ذكيٍّ يقوله الملك في ذلك اليوم.

قالت الملكة: «**هذا يثبت أنه مُذنب.**»

قالت أليس: «**هذا لا يُثبت أيَّ شيءٍ على الإطلاق! عجَبًا! إنَّكم حتى لا تعرفون عمَّ تتحدث الأبيات!**»

قال الملك: «**اقرأها.**»

وضع الأرنب الأبيض نظَّارته، وسأل: «**من فضلك يا صاحبَ الجلالة، من أين أبدأ؟**»

قال الملك بوقار: «**ابدأ من البداية، واستمرَّ حتَّى تصل إلى النهاية، ثم توقَّف.**»

كانت هذه هي أبيات الشعر التي قرأها الأرنب الأبيض:

«لقد أخبروني أنك ذهبت إليها

وأنَّك ذكرتني عنده

وأنها وصفتني بمحاسن الأخلاق

ولكنها قالت إني لا يُمكنني السباحة.

لقد أرسل إليهم أنني لم أذهب

(ونعلم أنها الحقيقة)

وإذا كانت ستُصعِّد الأمور

فماذا سيحلُّ بك؟

أعطيتها واحدة، وأعطوه اثنين

وأعطيتنا ثلاثًا أو أكثر

وكلُّهم عادوا منه إليك

على الرغم من أنهم كانوا ملكي قبل ذلك.

إذا كنتُ أنا أو هي عن طريق الصدفة

قد تورَّطنا في هذه القضية

فهو يأمل أن تُحرِّرهم

بالضبط كما كُنَّا

كان اعتقادي أنك كنت

(قبل أن تُصيبها هذه النوبة العصبيَّة)

عقبةً وقفت

بينه وبيننا وبين الشيء

لا تدعه يعرف أنهم مُفضَّلاتها

لأن هذا لا بدَّ أن يظلَّ للأبد

سرًّا بيني وبينك

لا يعرفه بقية الناس.»

قال الملك وهو يفرك يديه ببعضهما: «**هذا أهمُّ دليلٍ سمعناه اليوم، والآن فلندع المُحَلَّفين ...»**

قاطعته أليس (التي صار حجمها كبيرًا جدًّا خلال الدقائق القليلة الماضية، إلى درجة أنها لم تشعر بأدنى

خوف من أن تقاطع الملك)، وقالت: «**إذا استطاع أيٌّ واحدٍ منهم أن يشرح الأبيات فسوف أعطيه ستة قروش. فأنا لا أعتقد أن هناك ذرةً من معنى في هذه الأبيات.**»

كتب جميع المُحَلَّفين على ألواحهم: «**إنها لا تعتقد أن هناك ذرةً من معنى في هذه الأبيات**»، ولكن لم يحاول أحدٌ منهم أن يشرح الأبيات.

قال الملك: «**إذا لم يكن في الأبيات أي معنى فهذا سيوفِّر علينا الكثير من المتاعب في الحقيقة، إذ إننا لن نحتاج أن نحاول إيجاد أيِّ معنى لها. ومع ذلك، لا أدري**»، ثمَّ مضى يقرأ، وهو يفرد ورقة أبيات الشعر على ركبته، وينظر إليها بعينٍ واحدة: «**في الواقع، يبدو أنني أرى شيئًا من المعنى فيها.**» ... «**قالت إني لا يمكنني السباحة ...**» وأضاف وهو يلتفت إلى شابِّ القلب الأحمر: «**أنت لا يُمكنك السباحة، أليس كذلك؟**»

هزَّ شابُّ القلب الأحمر رأسه بحزنٍ، وقال: «**هل أبدو بمظهر مَن يُمكنهم السباحة؟**» (وهو ما لم يبدُ بالتأكيد؛ حيث إنه مصنوعٌ بأكمله من الورق المقوَّى.

قال الملك: «**كلُّ شيءٍ على ما يُرام حتى الآن**»، وأخذ يتمتم أبيات الشعر لنفسه: ««**ونعلم أنها الحقيقة ...**» المقصود هنا هيئة المُحَلَّفين بالطبع ... «**أعطيتها واحدة، وأعطوه اثنين ...**» **لا بدَّ أن هذا هو ما فعله بالكعكات.**»

قالت أليس: «**ولكن تكملة الأبيات تقول «وكلُّهم عادوا منه إليك**».»

قال الملك بلهجة المنتصر وهو يشير إلى الكعكات الموضوعة فوق المائدة: «**ياه، ها هي الكعكات! لا شيء يُمكن أن يكون أكثر وضوحًا من ذلك!**» ثمَّ قال للملكة: «**وعلاوة على ذلك ...**» قبل أن تُصيبها هذه النوبة العصبيَّة ... «**لم تُصابي بنوباتٍ عصبيَّةٍ من قبل يا عزيزتي، على ما أعتقد، أليس كذلك؟**»

قالت الملكة بغضبٍ وهي ترمي رأس ذكر السحلية بالمحبرة: «**إطلاقًا!**» (كان بيل الصغير التعيس قد كفَّ عن الكتابة بأحد أصابعه على لوحه؛ لأنه وجد أن إصبعه لا يترك أي علامة على اللوح، ولكنه حينئذٍ شرع في الكتابة على عجل، مُستخدمًا الحبر الذي كان يسيل على وجهه، إلى أن جفَّ).

قال الملك وهو ينظر حوله والابتسامة تعلو وجهه: «**إذن قد فاتتنا هذه النوبة.**» وساد القاعةَ صمتٌ تام.

فأضاف الملك بنبرةٍ غاضبة: «**إنها نكتة! تَلاعُبٌ بالألفاظ!**» فضحك الجميع. ثم قال الملك للمرةِ العشرين تقريبًا في ذلك اليوم: «**فليتداول المُحَلَّفون في الأمر كي ينطقوا بحُكمهم.**»

قالت الملكة: «**لا! لا! العقوبةُ أولًا، والحكم فيما بعد.**»

قالت أليس بصوتٍ عالٍ: «**هذا كلامٌ فارغٌ وهراء! أن تطبِّقوا العقوبة أولًا!**»

قالت الملكة، وقد احمرَّ وجهها من شدة الغضب: «**أمسكي لسانكِ!**»

قالت أليس: «**لن أمسك لساني!**»

صاحت الملكة بأعلى صوتها: «**اقطعوا رأسها!**» ولم يُحرِّك أحدٌ ساكنًا.

قالت أليس (التي قد استعادت حجمها الطبيعي في ذلك الوقت): «**من يهتم بما تقولين؟ لستم إلا مجموعة من أوراق اللعب!**»

وحينئذٍ، تطايرت كل أوراق اللعب في الهواء، وأخذت تسقط فوق أليس؛ أطلقت صرخةً صغيرةً وهي تشعرُ بمزيجٍ من الخوف والغضب، وحاولت أن تبعد الأوراق عنها، فوجدت نفسها مُستلقيةً عند ضفَّة النهر، ورأسها في حِجرِ أختها التي كانت تنفضُ عنها بكلِّ لطفٍ بعض أوراق الشجر اليابسة التي سقطت على وجهها. قالت أختها: «**استيقظي يا أليس يا عزيزتي، لقد نمتِ لفترةٍ طويلة!**»

قالت أليس: «**آه، لقد حلمتُ حلمًا عجيبًا!**»، وأخذت تحكي لأختها، قدر ما تذكَّرت، عن كل مغامراتها الغريبة التي كنت تقرأها للتوِّ، وعندما أنهت حكايتها، قبَّلتها أختها وقالت: «**لقد كان حلمًا عجيبًا حقًّا يا عزيزتي، ولكن هيَّا أسرعي الآن كي تتناولي الشاي؛ لقد تأخر الوقت.**» وهكذا نهضت أليس، وركضت نحو البيت، وهي تفكِّر كم كان حلمًا رائعًا!

ولكن أختها ظلَّت حيث تركتها أليس، تتكئ برأسها على يدها، وهي تشاهد غروب الشمس، وتفكِّر في أليس الصغيرة، وكل مغامراتها الرائعة، حتى بدأت تحلم هي الأخرى، وكان هذا هو حلمها:

في البداية، حلَمت بأليس الصغيرة نفسها ومن جديد، كانت اليدان الصغيرتان تمسكان بركبتها، وكانت العينان اللامعتان الطموحتان تنظران إلى عينيها ... وكان بإمكانها أن تسمع نغمات صوتِ أليس، وترى تلك الطريقة الغريبة التي تحرِّك بها رأسها الصغير إلى الخلف؛ كي ترفع شعراتها المتطايرة التي تقع دائمًا على عينيها ... وبينما كانت تستمع، أو يبدو أنها تستمع، أصبح المكان حولها بأكمله مليئًا بالمخلوقات الغريبة التي كانت في حلم أختها الصغيرة.

أصدر العشب الطويل حفيفًا عند قدميها حيث ركض الأرنب الأبيض مُسرعًا ... وكان الفأر الخائف يشقُّ طريقه سابحًا في البركة المجاورة ... واستطاعت أن تسمع صوت صليل فناجين الشاي بينما كان أرنب مارس البريُّ وأصدقاؤه يتشاركون وجبتهم التي لا تنتهي أبدًا، وصوت الملكة الحاد وهي تأمر بإعدام ضيوفها التعساء ... ومرة أخرى كان الخنزير الرضيع يعطس على ركبة الدوقة بينما كانت الصحون والأطباق تتحطَّم من حوله ... ومن جديدٍ، امتلأ الجو بصيحات الجريفن، وصرير قلم ذكر

السحلية على اللوح، وأصوات خنازير غينيا وهي تختنق، وامتزجت هذه الأصوات بصوتٍ يأتي من بعيد: صوت نحيب السلحف المُزيَّف التعيس.

وهكذا جلست مُغمَضة العينين، وهي تكاد تصدق أنها في بلاد العجائب، على الرغم من أنها تعرف أن ما عليها سوى أن تفتح عينيها مُجدَّدًا وسوف يعود كل شيءٍ إلى الواقع الممل ... سيصدر العشب حفيفًا فقط عندما تهزه الرياح، وسيترقرق ماء البركة فقط بتمايل أعواد البوص ... ستتحوَّل صليل فناجين الشاي إلى رنين الأجراس المُعلَّقة حول أعناق الخرفان، وستتحوَّل صرخات الملكة الحادة إلى صوت راعي الغنم ... وسيتحوَّل عطس الرضيع، وصيحات الجريفن، وكل الضوضاء الغريبة الأخرى إلى صخب المزرعة المزدحمة بالعمال النشطين ... بينما سيحلُّ خوار الماشية البعيدة محل صوت نحيب السلحف المُزيَّف.

وفي النهاية، تخيَّلت كيف أن أختها الصغيرة نفسها ستصير لاحقًا امرأةً ناضجةً، وكيف ستحتفظ خلال جميع سنوات نضجها بقلبها البريء الودود الذي عاشت به

طفولتها، وكيف ستجمع حولها أطفالًا صغارًا آخرين، وتجعل عيونهم تلمع وتتلهَّف، وهي تحكي لهم الكثير من الحكايات الغريبة، وربما حلم بلاد العجائب التي رأتها منذ زمن بعيد، وكيف ستشاركهم كل أحزانهم البريئة، وكيف ستجد السعادة في كل أفراحهم البسيطة بينما تتذكَّر أيام طفولتها، وأيام الصيف السعيدة.

النهاية

هوامش إضافية

١. قالت أليس «antipathies» ولكنها كانت تقصد أن تقول «antipods» وهي كلمة تعني المكان المقابل لها على الجانب الآخر من الكرة الأرضية، وغالبًا ما يُقصد بها أستراليا ونيوزيلاندا.

بالرجوع إلى موقع:

https://forum.wordreference.com/threads/the-antipathies-i-think.٢٩٨٨٨٠٩/

٢. هنا قالت أليس: «curiouser and curiouser» بينما كان الأصحُّ أن تقول: «more and more curious»، وكان هذا من شدة عجبها وانفعالها لما حدث (فقد بلغت دهشتها مبلغًا أنساها للحظة كيف تتحدث بلغة سليمة).

٣. ويليام الأول (١٠٢٨-١٠٨٧)، ويُعرف غالبًا باسم ويليام الفاتح. كان ملك إنجلترا في الفترة ما بين عامي ١٠٦٦ إلى ١٠٨٧، وكان أول من يحكمها من أسرة نورماندي.

٤. قد يبدو سؤال أليس هنا في النسخة المترجمة غير ذي صلة، ولكن في النص الأصلي يتضح أن هناك تلاعبًا بالألفاظ: فكلمة «ذيل» بالإنجليزية تعني «tail» وهي تتشابه في نطقها مع كلمة «tale» والتي تعني «حكاية».

٥. في النسخة الأصلية، كانت أليس تُخاطب الدودة (caterpillar) مُخاطَبَة المذكَّر. ولكن لفظة «الدودة» لفظة مؤنثة في اللغة العربية؛ لذلك استخدمنا لها الضمائر وأسماء الإشارة والصفات المؤنثة.

٦. الزغبة (dormouse) حيوانٌ قارضٌ، يشبه السنجاب الصغير أكثر مما يشبه الفأر. الاسم مشتقٌّ من الكلمة اللاتينية «dormire» والتي تعني «ينام»، وفيه إشارةٌ إلى فترات البيات الشتوي الطويلة التي يشتهر بها حيوان الزغبة. وكان الأطفال في العصرِ الفكتوري (حقبة تاريخية امتدت من ١٨٣٧ إلى ١٩٠١) يتخذون الزغبة كحيوانٍ أليف، ويحتفظون به في أباريق الشاي القديمة بعد ملئِها بالتبن أو الحشائش. بالرجوع إلى كتاب:

L. Carroll, M. Gardner, M. Burstein, J. Tenniel and

L. Carroll, The annotated Alice. New York, N.Y.: W.W. Norton & Company, Inc, ٢٠١

٧. في النص الأصلي يوجد تلاعبٌ لفظيٌّ في جملة «but I know I have to beat time when I learn music» فتعبير «beat time» يعني ضبط توقيت النغمات في القطع الموسيقية، بينما كلمة «beat» بمفردها تعني «يضرب» أو «يهزم».

٨. كلمة «draw» تعني «يرسم» وتعني أيضًا «يسحب»، فبينما كان حيوان الزغبة يقصد بقوله «they were learning to draw ...» أن الفتيات الصغيرات كنَّ يتعلمن الرسم، كان ما فهمته أليس هو أنهنَّ كنَّ يتعلمن السحب أي استخراج العسل الأسود من البئر.

٩. كان تعليق أليس: «But they were in the well» وكان ردُّ حيوان الزغبة: «Of course they were ... well in» السبب في حيرة أليس هو أن كلمة «well» بالإنجليزية تعني «بئر» وتعني أيضًا «بخير»، فقد كانت أليس تسأل باستنكار عن كيفية استخراجهم للعسل الأسود من البئر وهم بداخلها، ولكن حيوان الزغبة أجابها أنهم كانوا بخير داخل البئر؛ فجاءت إجابته بلا معنى بالنسبة لأليس. بالإضافة إلى ما أشرنا إليه سابقًا من أن حيوان الزغبة كان يتحدَّث

عن الرسم داخل البئر، بينما كانت أليس تتحدث عن سحب العسل الأسود من البئر.

١٠. في النسخة الأصلية، يقول حيوان الزغبة: «everything that begins with an M»، أي كل الأشياء التي تبدأ بحرف ال M. ثم يسرد هذه الأشياء فيقول:

"Such as mousetraps, and the moon and memory, and muchness … you know you say «much of a muchness»"

الذي يعني: «مثل مصائد الفئران، والقمر، والذاكرة، والكثرة … كما تعرفين، نحن نقول «الأشياء تشبه بعضها تماما».» ولمَّا كانت «كثرة» تبدأ بحرف الكاف، أبدلنا الكاف بالميم في النص الذي بين يديك.

١١. تلاعب الكاتب بكلمة «mine» التي تعني «منجم» وتعني أيضًا «مِلكي.» ويبدو أن هذا المثل من اختراع الكاتب، وهو يشير إلى ما هو معروفٌ اليوم في نظرية الألعاب (game theory) بلعبة المجموع الصفري (zero-sum game): وهي لعبة يتساوى فيها مكسب الفائز مع خسارة الخاسر بلا زيادة أو نقصان. بالرجوع إلى كتاب:

L. Carroll, M. Gardner, M. Burstein, J. Tenniel and L. Carroll, The annotated Alice. New York, N.Y.: W.W. Norton & Company, Inc, ٢٠١٥.

١٢. في النسخة الأصلية، كان ردُّ السلحف المُزَيَّف: «We called him Tortoise because he taught us.» تلاعب الكاتب بالكلمات مرةً أخرى؛ فكلمة«Tortoise » التي تُطلق على السلحفاة البريَّة تُشبه في نُطقها «taught us» والتي تعني «عَلَّمَنا.»

١٣. عادةً ما كانت تظهر هذه العبارة في فواتير المدارس الداخلية، وهي تعني بالطبع أن هناك مصاريف إضافية للغة الفرنسية، والموسيقى، وقيام المدرسة بغسل ملابس الطالب. بالرجوع إلى كتاب:

L. Carroll, M. Gardner, M. Burstein, J. Tenniel and L. Carroll, The annotated Alice. New York, N.Y.: W.W. Norton & Company, Inc, ٢٠١٥.

١٤. كانت أسماء المواد التي ذكرها السلحف المُزيَّف على وزن مشابه لأسماء المواد الحقيقية: فبدلًا من

(Reading - Writing - Addition - Subtraction - Multiplication - Division - History - Geography – Drawing - Sketching - Painting in Oils - Latin - Greek)

استخدم الكلمات:

(Reeling - Writhing - Ambition - Distraction - Uglification - Derision - Mystery - Seaography - Drawling - Stretching - Fainting in Coils - Laughing - Grief).

والتي تعني تباعًا: (التَّرنُّح – التلوِّي – الطموح – التسلية – التقبيح – السخرية – الغموض – علم تخطيط البحار – التشدُّق – الاستطالة/التمدُّد – الإغماءة في الملفات – الضحك – الحزن).

١٥. في النسخة الأصلية، علَّق الجريفن قائلًا: «That's the reason they're called lessons; because they lessen from day to day» والذي يعني: «لهذا السبب تُسمَّى دروسًا، لأنها تقلُّ يومًا بعد يوم.» حروف كلمة «lesson» التي تعني «درس» تتشابه مع حروف كلمة «lessen» التي تعني «يقلُّ.»

١٦. في النسخة الأصلية، كان ردُّ الجريفن: «Soles and eels, of course» وكلمة «Soles» بالإنجليزية تعني «سمك موسى»، وكلمة «eels» تعني ثعابين البحر، وقد استخدم الكاتب هذين النوعين من الأسماك تحديدًا كي يُحاكي التعبير الإنجليزي الشهير «Soles and Heels» والذي يعني «نعالٌ وكعوب.»

١٧. في النسخة الأصلية، علَّقت أليس على حديث السلحف المُزيَّف وقالت: «Don't you mean «purpose»?» بمعنى «ألا تقصد «بأيِّ غرض»؟» حيث إن كلمة «porpoise» التي تعني «دولفين» تتشابه في نطقها مع كلمة «purpose» التي تعني «غرض.»

١٨. في النسخة الأصلية، يستغل الكاتب أن كلمة «twinkling» التي تعني «لألأة» تبدأ بحرف ال «T» بالإنجليزية، والذي يُنطق تمامًا مثلما تُنطق كلمة «tea» التي تعني «شاي.»

"It began with the tea," the Hatter replied. "Of course twinkling begins with a T!" said the King sharply. "Do you take me for a dunce? Go on!"

١٩. كان الملك يحاول أن يتلاعب بالألفاظ على سبيل الدعابة. والمقصود بالتلاعب اللفظي هنا هو أن كلمة «النوبة» التي استخدمها الملك في تعبيره تعني «فرصة» وتُستخدم أيضًا للتعبير عن «النوبة العصبيَّة» التي يمكن أن تصيب المرء كما ورد في أبيات الشعر. أما في النسخة الأصلية، فيقول الملك للملكة «Then the words don't fit you» بمعنى «إذن هذه الكلمات لا تناسبكِ» مستخدمًا الكلمة «fit» التي وردت في الرسالة بمعنى «نوبة عصبيَّة» والتي تعني أيضًا «يناسب.»

